مجلة البيان – العدد 61 ، رمضان 1413هـ / مارس 1993م

كلمة صغيرة

لـم يـغـفـل الـقـدمـاء عـن موضوع الكتابة فتكلموا عن مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها فذكروا منها: أن يأتي الكاتب بجديد مستنبط ، فيستفيد الناس منه وقد يكملون ما بدأه، أو أن يشرح غامضاً بعد أن يتمكن من فهم النص، أو يعثر على غلط واضح بيّن فيصححه، أو يرى نقصاً في موضوع فيكمله، وهذا كما ينطبق على تأليف الكتب، فـإنـه ينطـبـق على إنشاء المقالات والبحوث والدراسات ، فلم التعب والعناء في موضوع قد درس وأشبع درساً وكتب حوله الكثير ، ولماذا لا ينصف الناس من أنفسهم ويريحون غيرهم ؟
المحرر

@الافتتاحية

اليد العليا خير من اليد السفلى

نستقبل في هذه الأيام شهر رمضان العظيم الذي أنزل فيه القرآن روحاً وحياة للإنسان الذي يهتدي بهداه، وعمىً على كل من كفر وابتعد عن أنوار التنزيل وتاه في قفر الأوهام ، وكان من أسرار هذه العبادة في هذا الشهر المبـارك أن المسلم يمتنع عن شهواته المباحة من الطعام والشراب فيتعود الصبر والمشاق والخشونة والرجولة والعزة والكرامة، فـيـنـشـأ إنساناً آخر غير الذي تعرفه المجتمعات المهينة أو المجتمعات المتكبرة .
هكذا تعلم المسلمون من رمضان ، وقد سمعوا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "اليد العليا خير من اليد السفلى"(1)، فكان أحدهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ليأخذه، ولا يطـلـب من أحد مناولته إياه . وأقسم الصحابي الذي سمع هذا الكلام أن لا يقبل عطاء من أحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.
وكان مما عرفنا عن الأمة التي تشرفت بحمل الرسالة ، ونزل القرآن بلغتها كانت تقول في أمثالها: »تجوع الحرة ولا تأكل بثديها« إشارة إلـى مـنتهـى الإباء والشموخ ، ثم دار الزمان دورته ، ونعيش هذه الأيام لنرى المسلمين يتكـفـفـون أيدي الناس ، وينتظرون المعونات من الدول والمجتمعات الغربية والغنية ، رضوا بالأدنى على الذي هو خير ، يريدون أن يقوم اقتصادهم على الصدقات والمنح ، وينتظرون تحسن الميزانيات عن طريق من يأتي ليستمتع بالدفء المتوسطي، وإذا ألقـيـت نـظــرة على الجــرائد وصفحاتها الاقتصادية فستجد أن المشاريع في هذه البلاد هي بناء الفنادق على شواطئ البحار ، أو

شركات أجنبية لتحسين إنتاج التبغ !! أو استيراد المواد الاستهلاكية، وبعض الدول الفقيرة تحلم ببئر من البترول حتى تنتقل فجأة من الفقر إلى الغنى وحتى يمرح الشعب ويفرح ، فهم كالفقير الذي يحلم بكنز من ذهب فهو يبحث عنه وما هو ببالغه، أما التفكير في الزراعة والصناعة، وتشجيع المهن اليدوية وأنواع الخبرات العالية في شتى فروع التقنية فهذا غير وارد عند القــوم إلا قليلاً ، وقد سرى هذا الداء إلى الأفراد بشكل عام ، فالعربي الذي يملك مالاً إذا فكـر فـي الاستثمار سـواء فـي بلده أو في بلد أجنبي ، فلا يفكر إلا في الأشياء الاستهلاكية التي تدر ربحاً سريعاً ومفاجئاً ، وكثيراً ما يكون هذا الربح السريع من المال الحرام .

والسبب في هذا أنه ليس في مناهج التربية تـكـويــن الشخصية المستقلة التي تكافح وتغامر وتضرب في الأرض وتركب البحار ، بل تربى على الغش والذل واكتساب المال بالحيل ، وسبب آخر وهو حب الظهور والفخفخة ، وهذا لا بد له من المال الكثير في الوقت القليل، ولذلك لا يطلب الرزق من الوجوه الطبيعية مثل الزراعة والصناعة والتجارة .

وأســاس التقدم الاقتصادي هو العمل وليس البحث عن الكنوز ، وانتظار المفاجآت . روت عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : »إن أطيب ما أكـــل الرجل من كسبه«(2) ، وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : »استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك«(3) ، وكان أحد أتباع التابعين يقول لتلاميذه : »ألزموا السوق« ، ويقول الإمام أحمد -رحمه الله- : »أحـــب الدراهم ألي درهم من تجارة ، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان« .

إن الحكومات والشعوب تبحث عن الأدنى مع أن خيرات البلاد العربية والعالم الإسلامي كثيرة وفيرة وأرضها واسعة، وتربتها طيبة،وإن بداية الاستغناء عن ذل القروض أو الهبات هو في العمل الزراعي والصناعي ، وإذا كـانت أوربا قد تكتلت في الحلف الاستعماري عام 1881 فإنها تتكتل الآن في صورة (السوق الـمـشـتركة) من أجل الزحف الاقتصادي ، ومع الأسف فإن أكثر المجتمعات استهلاكاً فـي الـعـالم هي المجتمعات الإسلامية إلا ما ندر ، ومن الغريب أن بعض الدول العربية كانت حالها في الخمسينات والستينات أفضل مما هي عليه الآن سواء من حيث الزراعة أو التصنيع، فـهـل رأيـتـم كـيف تنهب الأموال وتسلب البركة ، وكيف تذل الشعوب .

قلنا في العدد الماضي أن من السياسة العليا اهتمام المسلمين بالمدارس والمناهج ، ونقول هنا أيضاً إن من السياسة العليا اهتمام من يملك المال بالاستثمار في الزراعة والصناعة حتى لا نستجدي غذاءنا من عدونا .

الهوامش :

1- فتح الباري 3/35 .

2- أبو بكر الخلال / الحث على التجارة / 27 ، وقال المحقق أنه صحيح .
3- السلسلة الصحيحة 1450 .

@في إشراقة آية

((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذْنِ اللَّهِ))

د. عبد الكريم بكار

يقول الله سبحانه وتعالى : ((فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وجُنُودِهِ قَالَ الَذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة 249] ، تسلط الآية الكريمة الضوء على قضية مهمة من حياتنا ، هي قضية (الكم والكيف) ، وعلى العلاقة الجدلية بينهما ؛ فحين خرج طالوت لحرب جالوت خرجت معه الألوف المؤلفة من الجند (كم) فأراد أن يعرف عن نوعية الرجال الذين سيقاتل بهم فابتلاهم بالشرب من النهر ، فشرب منه السواد الأعظم منهم، ولم ينجح في ذلك الامتحان سوى ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً - كعدة أصحاب بدر - وكان موقف هذه القلة القليلة من جيش جالوت الموقف الذي يتناسب مع كيفهم ، فقالوا : ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذْنِ اللَّهِ)) ، هذه الفئة القليلة هي الغالبة لما نالت من تأييد الله ونصره ؛ لنصرها دينه واستحواذها على شروط النصر .

وفي ختم الآية : ((واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) إشارة إلى أن هذه الفئة كانت تتحلى - في جملة ما تتحلى به - بالصبر الضروري لمجالدة العدو .

إن للكيف شأناً وأي شأن في أوقات الأزمات عامة ومصارعة الأعداء خاصة ؛ حتى إن الرجل ليغالب العشرة من الرجال ((إن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)) [الأنفال 65] . وهذه الدنيا دار ابتلاء ، ومن ثم فإن بني البشر محاطون بكل ما من شأنه أن يكون ابتلاءً لهم ، الزمان والمكان والأشياء والأفكار والأعراض ، وكل ما نتركه غفلاً على حالته الفطرية فهو (كم) يتحدى، ويضايق، وقد يشوه ، ويقتل!! ومن ثم فإننا نمتلك من القدرة والحرية على مقدار ما نكيفه من تلك الفطريات .

ونحن بني البشر محدودو الطاقات والإمكانات، ومن ثم فإن توسعنا في الكم لا بد أن يكون على حساب الكيف،كما أن التوسع في الكيف لا بد أن يكون على حساب التوسع في الكم، وهذا يوجب علينا أن نتعلم كيف نركز على الكم ، وكيف نركز على الكيف ، ومتى يكون هذا ، ومتى يكون ذاك ؟ وإلا فربما ذهب كثير من جهدنا هباءً !

وعلى سبيل المثال فإن الظواهر الاجتماعية تتكون على سبيل التدرج ، وإذا ما استقرت ، وصارت عرفاً ضغطاً على الناس ضغطاً شديداً ، وهي لا تعتمد في سيرورتها على الكيف ، لكن على الكم، ومن ثم فإن القول السائر في

صددها يكون باستمرار: الناس يعيبون هذا، والناس يحبون هذا ، بقطع النظر عن توعية القائلين ، ومن هنا جاء الحديث الشريف: "من كثر سواد قوم فهو منهم"(1) حـيـث إن تكثير السواد في بعض المواقف ، كالمؤتمرات والـتـظـاهــرات - مثلاً - يكون هو الهدف مهما كان القصد! وهذا يعني أن جهداً كبيراً ينبغي أن يـبـذل فـي اتـجـاه جعل الدين ثقافة عامة للناس يؤصلون أعرافهم عليها ؛ فلا يصبح المعروف منكراً ولا المنكر معروفاً..

وعلى صعيد الكيف فإن باحثاً واحداً يعد مرجعاً في فرع من فروع المعرفة أجدى على التقدم العلمي من ألوف الملقنين المدرسيين. ونحو من هذه الوظائف الإدارية والقيادية العليا ، فإن شخصاً موهوباً مؤهلاً واحداً أنفع مــن مـئــات الأشخـاص (الخام) الذين يحتاجون إلى من يصرف أمورهم..

وفـي قـضـايا الفكر والرأي والالتزام قد ننظر للكم تارة وقد ننظر للكيف تارة أخرى ؛ فإذا كان الحق الذي نتبعه قطعياً - أي ليس مناطاً للاجتهاد - فإن الكم مهدور حينئذ ، وهذا معنى قول بعض السلف : الجماعة أن تكون على الحق ، ولو كنت وحدك . وحين يكون الحق اجتهادياً فإن الكم حينئذ معتبر ، ومن هنا نشأت أهمية كلمة (جمهور) عند الفقهاء وغيرهم .

إن أمتنا اليوم لا تعاني اليوم من نقص فـي (الكم) على أي صعيد من الصعد ، لكنها تعاني من نقص شديد في (الكيف) ؛ فنحن اليوم أكثر من خمس العالم ، وأراضينا واسعة شاسعة وخيراتنا كثيرة وفيرة ، لكننا إلى جانب هذا في حالة معيشية مأساوية على أكثر الأصعدة، فأكـثـر بلدان العالم الإسلامي مصنفة مــع البلدان الفقيرة ، وكثير من شعوبنا يعيش تحت مستوى الفـقـر ! وأعلى نسبة للأمية موجــودة عندنا ! أما الوزن الدولي فنحن جميعاً على الهامش موزعون ما بين شرق أوسط وأقصى وأدنـى ، أي أننا نُصنف باستمرار تبعاً لموقعنا في المركز!!

ومع أن الوحــــدة ظـلــت المحور الذي يجذب مشاعرنا وأدبياتنا ، إلا أن حالتنا الراهنة تتجه باستمرار إلى مزيد مـــــن التمزق والتفكك ، مع أن العالم من حولنا يسير إلى التوحد والاندماج ! أما حقوقنا وكرامتنا وأراضينا فوضعنا ووضع العالم منها يلخصه المثل العربي القديم : "أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل"!!

ولا أريد أن أتمــــادى في (النبش) وتتبع المواجع حتى لا نقع فريسة اليأس القاتل لكن ما أريد أن أقوله هو أن وضعنا الحالي قد جاءت به النذارة في نصوص كثيرة منها : حديث(2) القصعة المعروف ، والذي وصف حالة الأمة بالغثائية ، والتضاؤل على المستوى الظاهري : "غثاء كـغـثاء السيل ، وعلى مستوى المضمون "الوهن" : "حب الدنيا وكراهية الموت" .

وللغثاء سمتان أساسيتان: خفة الوزن وعدم الترابط ، ويترتب عليهما نتيجة مخيفة ، هي فقد الاتجاه الحر ، فالغثـاء يساق دائماً إلى حيث يريد ، وإلى حيث لا يريد ؛ وفي موازين عديدة يعد فقد الاتجاه فقداً للوجود ذاته!!

وهذا كله يعني أن أحوالنا الثقافية والسلوكية والاقتصادية إذا ظلت على ما هي عليه فلن تفرز إلا التبعية للآخرين،والتي ستفرز من جهتها باستمرار صراعات في بُنانا العميقة تؤكد الغثائية وتؤصلها!!

كيف نحول الكم إلى كيف ؟

نحن في حركتنا اليومية نقــوم باستمرار بتحويل (الكم) إلى (كيف) فلا مشكلة في الممارسة العملية ، لكن الإشكال يكن فـي فقد التوازن بين الكم والكيف ، أو بعبارة أخرى في الكم الهائل الذي نستطيع تكييفه ؛ مما يحوله إلى عبء ثقيل وعقبة كأداء في طريق نجاحنا ؛ فالأمي والجائع والمريض والمنحرف والفوضوي والكسـول ، كل أولئك يشدون الأمة بعنف نحو الوراء، ويقـفـون فـي وجـهـهـا، وهي تخطو نحـو الخلاص من الغثائية، وليس هذا فحسب بل إن هذه الهلاميات تستـطـيـع أن تتأبى عـلـى أي قالب تشكيل تصادفه ، مما يجعلها دائماً نقاط ضعف في جسم الأمــــة ونقاط ارتكــاز ورؤوس جسور للمتربصين بها الدوائر!!

ويكون السؤال حينئذ : كيف نحد من نسبة هؤلاء لـتكـون قريبة من الطبيعية ؟؟ إن هناك كـــلاماً كثيراً يمكن أن نقوله في هذا الشأن ، لكنـنـي أود أن أشير إشارة عابرة إلى محاور أربعة أحسبها منطلقات مهمة في هذه السبيل :

1- أن نشـيــع في الأمة روح التوحد على الأصول والحق القطعي ، وذلك يستلزم جهوداً دائمة في بلورة ذلك؛ وأن نشيع إلى جانب ذلك روح التعاذر في الفروع والحق الاجتهادي، ونضرب للناس الأمثلة العملية التي تنير لهم السبيل،وأن نبقي في الحالتين هامشاً للتواصل والتبشير والإنذار .

2- أن نوسع في تربيتنا وحياتنا اليومية من مفاهيم العبادة لتشمل مجالات النفع الـعـــام، كالأخذ بيد أولئك الذين قعدت بهم ظروفهم وإمكاناتهم عن أن يعيشوا حياة كريمة طبيعية "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار"(3) وذلك بغية التخفيف من المعاناة التي يكابدها كثيرون من أفراد الأمة .

3- رعاية النابهين وإعطاؤهم ما يستحقونه من الاهتمام والمتابعة والبذل ، والنابهون هـــم أولئك الذين آتاهم الله - سبحانه - من المكنة ما جعلهم محاور يدور في فلكهم الآخـرون ، والنابه قد يكون طالباً عبقرياً ، وقد يكون وجيهاً يأتمر بأمره كثيرون ، وقد يكون واحــداً من ذوي رؤوس الأموال الطائلة، وقد يكون ويكون...، وهذا من باب إنزال الناس منازلهم.

4- إقامة المؤسسات الكبرى على مختلف الصعد، وتلك المؤسسات تؤصل فينا روح الفريق، كما توفر الأطر الإدارية والفنية والعملية لأولئك الذين يملكون روح الإخلاص والعطاء . إن الـمـؤسـسـات تمثل مهمة المحرك للسفينة تارة ومهـمة المراسي تارة أخرى، أي: تؤمــن حركة راشدة متزنة .

وإذا ما فـعـلـنـا ذلـك أو بعضه نكون قد ساعدنا الأمة في الخروج من نفق (الغثائية الكمية) المظلم ، ودفعناها نحو امتلاك أهلية قيادة العالم وهدايته .
وعلى الله قصد السبيل .

الهوامش :

1- من حديث لابن مسعود يرفعه . انظر فتح الباري 13/37 .
2- أخرجه أحمد وأبو داود .
3- أخرجه الشيخان وغيرهما .

@من نور النبوة

فوائد من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ستر الجعيد

الحديث :

روى مسلم في صحيحه(1) عن أبي هـريرة -رضي الله عنه- قال : "كنا قعوداً حول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معنا أبـو بـكـر وعـمــر في نفرٌ ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفزعنا فقمنا، فكنت أول مــن فـزع فخرجت ابتغي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتيت حـائـطـــاً للأنصار لبني النجار، فــدرت بـــه هل أجد له باباً فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة - والربيع الجــدول - فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، فدخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أبو هريرة، فقلت : نعم يا رسول الله ، فقال: ما شأنك، قلت : كنت بين أظهرنا فقمت، فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا، فكنت أول من فزع،فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه، قال: اذهب بنعلي هـاتـيـن، فـمـن لقـيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة، فكان أول مـن لقيت عمر، فـقـال: مـا هـاتـان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت : هاتان نعلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثني بهـمـا من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجـنــة، فضرب عمر بيده بين ثدي فـخـــــررت لأستي ، قال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فـأجـهـشـت بكـاء ، وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : مالك يـا أبـا هـريـــرة ؟ قلت : لقيت عمر فـأخبرته بالذي بعثتني به ، فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي ، قـــال: ارجـــع، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا عمر: ما حملك على ما فعلت ؟ قال : يا رســـــول الله

بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه بشره بالجنة ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فخلهم" .

فيه فوائد :

1- عظم المحبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قلوب أصحابه .
2- عمق الأخوة بين المؤمنين .
3- فضل اليقين في الإيمان .
4- الفصل بين الفضولية والاستيضاح .
5- أهمية التثبت عند عدم الشك .
6- الفرق بين رد السنة وبين غيره .
7- أثر العلاقة في التربية .
8- الخشية من وقوع المفسدة يبيح اتخاذ ما يمنع وقوعها .
9- إدراك الصحابة لفقه الخلاف .
10- الإشارة إلى بعض شروط لا إله إلا الله .
11- تأمل خشية عمر مع وجود العمل فكيف لو رأى الترك والإعراض ؟

الهوامش:

1- كتاب الإيمان ، 1/235-240 .

@وصايا للدعاة

الشيخ عبد الله بن حسن القعود

-1-

الحمد لله والصلاة والسلام على رســـول الله وبعد : فأوصيكم إخواني في الله دعاة وشباب الإسلام بتأمل أمور منها ما يأتي :

تعـلـمـون وفـقـكـم الله أن الله سمـاكم المسلمين وامتن بهذه التسمية بل أمر ووصى بها فقال تعالى: ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ..)) إلى قوله سبحانه وتعالى: ((هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ)). وقـــال: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) . وقـــال: ((ووَصَّى بِهَا إبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ويَعْقُوبُ يَـــا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) . وكانت هذه التسمية هي السـمــــة والعلامة لأمة الاستجابة التي لم تبدل ولم تغير بل ومحل الاعتزاز ، روى الإمام مسلم -رحـمـه الله- عـــن ابـن عباس -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقي ركباً بالروحاء فقال: من القوم ؟ قالوا: الـمسلمون ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : رسول الله.. الحديث، وأن مسمى دين هذه الأمة الإسـلام ، الإيمان ، الإحسان

، وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأن أهله يتفاوتون فيه وشعبه تتفاوت كذلك قال تعالى : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) ، وقال : ((لا يَسْتَوِي القَاعِـدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ والْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وكُلاًّ وعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى)) . وقال : ((لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وقَاتَلُوا وكُلاًّ وعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى)) . وقال -عليه الصلاة والسلام- : »إن أهل الجنة يتراءون أهل الـغـــــرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري العابر في الأفق، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: لا، والذي نفسي بيده ، قوم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين« . وقال : »المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير« . وقال : »المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهــم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم« .
ونصوص زيادة الإيمان بالطاعات ونقـصانه بالعصيان معروفة ومعروف مذهب السلف الصالح في ذلك فمسماه يشمل كل من أظهر الإسلام ولم يرتكب ما يناقضه وينقل عن أصله ، قال -عليه الصلاة والسلام- : »من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فهو المسلم الذي له ذمة الله ورسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته«(1) .
فمن كان ذلك الوصف ظاهره اندرج في عداد المسلـمـيـن ، أهل الملة ، أهل القبلة ، مسمى جماعة المسلمين في الجملة، أما الفرقة الناجية فقد فسرها -عليه الصلاة والسلام- بقوله: »من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي« . وأن مـذهــب السـلـف في عصاة أهل القبلة أنهم يُحَبون لما فيهم من طـاعـــات، ويُبْغَضون لـما فيهم من عصيان، وأنه يجتمع في قلب الشخص الواحد من المسلمين الحب والبغض فـي آن واحــــد لعـصـاة المسلمين ، وأنهم أي السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يرجون للمحسنين من أمة محـمـد ويـخـافــــون على المسيئين منهم ، ولا يكفرون أحداً من المسلمين بكل ذنب فعله ما لم يستحله ، ويبقى فيهم مع تفاوتهم في الإيمان وارتكاب بعضهـم لشيء من العصيان الذي لا ينقل عن الملة التحاب على ما ذكر ، والتراحم والتعاطف والاحترام المتبادل وفق منهاج الله ، قال شيخ الإسلام أحمــد بن تيمـية -رحمــه الله- : ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا فعل أخطأ فيه ؛ كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة ، فإن الله تعالى قال : ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَـلائِكَـتِـهِ وكُـتُـبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإلَيْكَ المَصِيرُ)) ، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم .

فليتأمل المسمى المذكور للمسلمين والنقل المذكور عن شيخ الإسلام -رحمه الله- وأمثاله من يحرجـون غيرهم من شباب المسلمين بالقول له : هل أنت كذا أو كذا ، فينبغي لمن ووجه أو قوبل بـهـذا القول أن يقول : أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في استنكاره لمثل هذا السؤال : وروينا عن معاوية بـن أبي سفـيــان أنه سأل عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فقال : أنت على ملة علي أو ملة عـثـمـان ، فقال : لست على ملة علي ولا على ملة عثمان ، بل أنا على ملة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

- 2 -

من المعلوم البدهي أن الدعوة إلى توحيد الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله لن تتحقق عـلـى الـوجه المطلوب ما لم يزل من وجهها ما تأصل في بعض النفوس الخبيثة من الشرك الأكبر المناقض لتوحيد الله ، ولما أمر الله به من الكفر بالجبت والطاغوت الذي بدونه أي الكفر بالجـبــت والطاغوت لا يتحقق معنى لا إله إلا الله في النفوس ، ولا في الواقع وإن نطق بها لفظاً فغير خافٍ أن الفترة الزمنية التي قضاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مكة يدعــو فيها إلى توحيد الله كان يغشى الناس في مجامعهم ومواسمهم التماساً لمن ينصره ويحميه لـيـدعــو إلى ذلك بالفعل من لم ينفع معه القول ، ونتج عن ذلك بيعته في موسم الحج لعدد من الأنصار -رضي الله عنهم- ، تلتها هجرته إلى المدينة ليقيم بها دولة ومعسكر الإسلام الذي بـوجــوده تنفذ أحكام الله وتقام حدوده وتحمى دعوته ، وفعلاً لما دخل مكة فاتحاً اتجه إلى الأصنام المعلقة بالكعبة التي كان يدعو بالقول إلى نبذها وأمثالها وعبادة الله وحده يكسرها ويقــرأ قول الله : ((وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)) ، ويسلم بعد كثير ممن كانوا ممتنعين عن الإسلام ورضى الله عن حسان بن ثابت فقد روى عنه أنه قال :

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب وقـد لان مـنـه جـانـب وخـطـاب
فلما دعا والسيف صلت بـكـفـــه لـــه أسـلـمـوا واسـتـسلموا وأنابوا

وقال قبل ذلكم خير قائل وأصدق قائل: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وأَنزَلْنَا الحَـدِيـدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ ولِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ورُسُلَهُ بِالْغَيْبِ)). ولا شــك أن ذكــر إنـزال الحـديـد بعد ذكر إرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان الذي هو العدل ، يفهم منه أن من لم يقوّم بالـحـجـج والآيـات الـواضـحـة والأدلة الناصعة يقوّم بالسيف، قـــال شـيــخ الإسلام -رحمه الله- في تعليق له على الآية المذكورة : فمن عدل عن الكتاب قُوِّم بالحديــد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. وقــال -عليه الصلاة والسلام- : »بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل

الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم« . وقال -عليه الصلاة والـسـلام- : "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك"(2).
وقـد نـهــج الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- هذا المنهج النبوي الكريم مذ بدأ دعوته الـخــيـرة إلـى تحقـيـق توحيد الله وتصفيته مما علق به من شوائب الشرك والبدع والعصيان ، يجوب البلاد يعــرض طلب نصرته فيها وحمايته من أعدائها على أمراء تلك البلدان ولا زال كما هو مـعــــروف من تاريخه -رحمه الله- لا سيما بعد المعاهدة مع أمير الدرعية آنذاك الذي بسط للشيخ -رحمه الله- يده بعد أن عرض عليه دعوته وما تحتاجه من نصرة وحماية قائلاً: أبـايـعـــك على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله وإقامة شعائر الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عــن الـمنكر ، فكان لهذا الأمر ما كان من خير لا يزال المنتمون لهذه الدعوة على هذا المعتقد المنبعث من دعوة رسل الله وأتباعهم بإحسان ينعمون به وقد كان ضمن منهجهم رحمهم الله التـركـيز في دعوتهم على الدعوة إلى الكفر بالجبت والطاغوت وتلقين عوام الناس في المساجد مختـصر الأصول الثلاثة للشيخ نفسه ومنه : ما أول ما فرض الله عليك ، الجواب : الكفر بالـطـاغوت والإيمان بالله.. إلـى : والطواغيت كثير ورؤسهم خمسة إبليس لعنه الله، ومن عبده وهو راض، ومـن دعـــا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حـكـم بغير ما أنزل الله .
فلينتبه لهذا المنهج الخيرون من المسلمين في دعوتهم إلى الله وإلى إقامة شـرعــــه عسى أن يكونوا خير خلف لخير سلف صدقوا مما عاهدوا الله عليه .

الهوامش :
1- البخاري رقم 391 .
2- مسلم برقم 1924 ، كتاب الإمارة .

@من إيجابيات الدعوة الإسلامية المعاصرة

د. عابد السفياني

إن الدول الإسلامـيـة يـعـظم عطاؤها ويقوى بقدر ما تبذل في سبيل إحياء المفاهيم الإسلامية وتجديدها ورفع الشبهة عنها وتربية الناس على عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي بينها المجددون من علماء الـسـلـف الصـالح ومن تبعهم بإحسان . وسنتحدث في هذه المقالات عن أبرز هذه الإيجابيات رغبة منا في إظهارها ، وطلباً لنشرها في كل مكان .
وإن من المفيد أن نشير قبل ذلك إلى أهم الأسباب التي توجب الاعتناء بهذا الموضوع ، كما ننبه على المنهج المتبع في دراسته ، وإليك هذه الأسباب :

1- الدلالة على بعض ما بذله العلماء والدعاة من جهود دعوية تجديدية،والتذكير بأهمية ذلـك ، ودعوة الجميع إلى التعاون على نشرها والمحافظة عليها .
2- بيان الدليل العملي على يـســـر تـعـاون الـدعـــــاة والمفكرين وطلاب العلم على نصرة الإيجابيات ، وأنه مهما وقع بينهم من الاختلاف في الأمور الاجتهادية فإن المجال واسع للتعاون والمناصرة ، ويمكن السعي في كشف اللبس عن بعض المفاهيم التي وقع فيها الكثير من الغبش ، وينبغي أن يعلم الدعاة جميعاً أن الصـحــــــوة في العالم كله هي ثمرة من ثمار أعمالهم ، وأنه يجب على العلماء وطلاب العلم الارتقاء بذلــك الـجـهـد وتكثير إيجابياته وتصحيح سلبياته وذلك ممكن ومتيسر والحمد لله .
3- وجــوب تعريف الناس عامة - والمسلمين خاصة - بالآثار الحميدة للدعوة الإسلامية، وبيان أنها الطريق إلى تحقيق عبادة الله وحده واتباع رسله -عليهم الصلاة والسلام-، وأن الفساد لا يرفع من الأرض إلا بتحكيم "الشريعة الإسلامية" ، في جميع المجالات ((حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)) .
4- إن الحديث عن الإيجابيات هو الـطـريـق الـوحـيــد لربط أجيال الأمة بعضها ببعض، ويحقق لنا حسن الاستفادة من أولئك العلماء الأعلام الذيـن حـمـلـوا رايـة الإصلاح فيها ، وهؤلاء هم أهل العلم والإيمان والجهاد والبصيرة في الدين ، ظهر منهم في كل جيل عدول ، يقولون بالحق وبه يعدلون ، قد علمت الأمة مكانتهم - لا بمجرد الأقـــــوال ولا بكثرة الأموال وإنما علمت مواطن جهادهم وقوة صبرهم ومواقفهم الثابتة في نصرة الحــق حـتـى قـدمـــوه على محبه الأموال والأولاد ، وعلى زينة الحياة الدنيا وجعل الله منهم أئمة لما صبروا كما قال تعالى:((وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ))، فحرصت الأمة على تقديمهم رغبة منها لا رغبة منهم .
وهؤلاء المصلحون يجددون في مجالات كثيرة بحسب ما تحتاجه الأمة في كل عصر، ونحن في هذه المقالات نذكر بشيء من جهودهم التي ينبغي أن تحتذى فـي سـبـيل الإصلاح، ولا ندعي العصمة لأحد منهم وننبه إلى منهج أهل السنة مع علمائهم فنقول:
إن أهـل السنة والجماعة لا يعصّمون العالم منهم ولا يؤثمونه لخطأ وقع فيه ، بل يأخذون أحـسـن ما عنده ، ويعذرونه فيما أخطأ فيه ويجعلون جهاده ونصرته للإسلام ، وبُعده عن مناطـات الـفـرق والأهـــواء مانعاً من الطعن فيه ، وبهذا الموقف المعتدل - عند أهل السنة والجماعة - استطاعوا أن يحافـظـوا على جهاد علمائهم ويستفيدوا منه ويبنوا عليه ، وقد وفقهم الله في ذلك . بخلاف أهـل المسالك الفاسدة من المتعصبة والمقلدة الذين ينكرون فضل العالم وجهاده إذا اجتهد وأخطأ في بعض مسائل الاجتهاد .

وهذا الأصل الـذي نذكر به وندعـو إليه ، هو المنهج الوسط الذي التزمه السلف الصالح -رضوان الله عليهم- ، وهو مقتضى العدل الذي بينه - صلى الله عليه وسلم - ، فقد روى عمرو بن العاص أنه سمع رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : »إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر«(1) .

ونحن معشر أهل السنة والجـمـاعـة لا نـعصم العالم إذا اجتهد واستفرغ وسعه ولا نؤثمه ، بل نحافظ على جهاد العالم وإيجابياته وعلـمـه وحـسـن بلائه في نصرة منهج أهل السنة، وندعـو الـنـاس إلى المحافظة على جهده وجهاده ، ونعتبر إيجابياته مكسباً للأمة يجب المحافظة عليها ، ولا نرى مسوغاً للاعتراض عليها بقول القائل: إن هذا العالم أخطأ في كــذا وكـذا ونخـشى أن تنتشر تلك الأخطاء بل الواجب أن نحافظ على إيجابياته ، ولا ندعي له العصمة ، ولا ندافع عن أخطائه ، ونكتفي ببيان الصواب فيما أخطأ فيه .

وبـهـذا الـمـنهج نستطيع أن ندعو للإيجابيات ونقوي بها المنهج التجديدي في الدعوة إلى الله، فعاد الأمــر فـي الـنهايـة إلـى ربـط أجـيـال الأمـة بعضها ببعض عن طريق الإشادة والاستفادة من إيجابيات علماء السنة ، والحفاظ على جهـودهم ، والبناء عليها في مجال التجديد . ، بهذا المنهج الوسط - ولتلك الأسباب - ندعـو للاستفادة من جميع الجهود المبذولة في إطار أهل السنة والجماعة، وسنذكر في المقالات القادمة - إن شاء الله - بشيء من جهود الدعاة والمصلحين كل في مجاله الذي برز فيه ، ولكل مصلح درجات مما عمل بحسب علمه وعمله وجهاده وصبره وإحـسـانـه، وندعو للجميع بالتوفيق وأن يبارك الله بفضله وإحسانه في جهود العلماء العاملين ، وأن يجزل لهـم الـمـثوبة ويجمعنا وإياهم مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

1- خرجه البخاري في صحيحه 13/318 .

@خواطر في الدعوة

صحوة أم تجديد

محمد العبدة

شاعت في هذه الأيام على ألسنة الـدعــاة والكتاب كلمة (الصحوة) يعبرون بها عن الاتجاه القوي نحو الدين على مستوى الأفراد والشعوب ، ولا شك في أنها ظاهرة واضحة وقوية لا تحتاج إلى أدلة أو برهان ، فالعودة إلى الديـن والالتزام به سلوكاً وفهماً نراه في كل مكان ، والمؤتمرات التي تبحث هذه الظاهرة تعقد على أعلـى المستويات . ولكن هل ما نحن فيه ، وما يجب أن

نكون عليه يكفي في التعبير عنه كلـمـة (صحوة) ؟ أليس مما تعنيه أنها إفاقة بعد نوم ، قمنا بعدها نتملى ونفرك أعيننا لنرى ما حولنا ؟ وهل هذه الإفاقة هي من تاريخ استعمال هذا المصطلح - وهو حديث العهد - أم أنها أقدم بكثير ؟ أولا تعني - مما تعنيه - أنها مؤقتة ، فقد يصحو الإنسان ثم يغفو ، وربـمـا تكــون الصحافة الغربية قد أطلقتها على أحداث السنوات الأخيرة في العالم الإسلامي لتعبر فيها عن قلقها من ظاهرة التدين ؛ فتلقفتها الصحف عندنا ، ثم سرت إلينا .

قد يقول قائل : لا مشاحة في الاصطلاح ، سمها ما شئت ، فالمقصود هو الرجوع إلى الدين ، وهذا صحيح ، ولكن أخشى أن تسري سطحية هذا المصطلح إلى الفكر الإسلامي ، فنحن بحاجة ، إلى التجديد بكل ما في مصطلح التجديد من عمق ، وكل ما فيه من تعب وكد في العلم والتدبر والتأمل . نحن بحاجة إلى التجديد لإزاحة كثير من الغبش عن بعض المفاهيم الإسلامية، والتصورات التي كبلت الشخصية المسلمة عن الانطلاق،ونحن بحاجة للتجديد في وسائل العمل ، وفهم الواقع ، وفقه بناء الأمم ، وكيفية إقامة (البنيان المرصوص) . ونحن بحاجة إلى التجديد أمام التحديات الحضارية التي ما زالت ريـاحـهـا تـهـب مــن الغرب .

وإذا كانت الدعوة في بداية مراحلها ، تحتاج إلى رعاية فائقة ، وشحنة عاطفية - كالطفل فـي أعـوامــــه الأولى - فإنها الآن أمام تحديات كبيرة ، فلا بد من العقول المفكرة والعلماء المجتهدين والتخـطـيـط، والنظر فـي وقائع الاجتماع البشري والسنن الربانية ، والتدرب على تحليل الحاضر واستشراف المستقبل، وهذا كله يندرج تحت حديث التجديد "يجدد لها أمر دينها" وأمر دينها يندرج تحته أمر دنياها أيضاً ، لأنه وسيلة إلى الأمن والاطمئنان والقيام بأمر العبودية على أتم ما تكون .

في المنهج

قاعدة في الحكم على المخالف

عثمان علي حسن

التفريق بين الكفر وقائله :

وهذا من الأصول العظيمة التي امتاز بها أهل السنة والجماعة عن سائر الفرق،أنهم يفرقون بين المقالة وصاحبها ، فالمقالة قد تكون كفراً أو فسقاً وصاحبها ليس بكافر ولا فاسق ، كما أنها قد تكون إيماناً وتوحيداً وصاحبها ليس بمؤمن ولا موحد .

ولكي توافق مقالة الكفر صاحبها، ويوصف بها، لا بد من تحقيق شرائط وانتفاء موانع:

أما الشروط فمنها(1):

1- أن يكون صريح قوله الكفر عن اختيار وتسليم .

2- أن يكون لازم قوله الكفر، وعــرض علـيـه فالتزمـه، أما إذا لم يلتزمه، بل رده وأنكره فليس بكافر.

3- أن تقوم الحجة عليه ويتبينها ؛ لقوله تعالى : ((ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)) [الإسراء 15] ، وقوله:((ومَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى)) [النساء 115].

وأما الموانع فمنها(2) :

1- أن يكون حديث عهد بالإسلام .

2- أن يكـون قـد نشأ ببادية بعيدة ، ويدخل معه من لم يجد إلا علماء الابتداع يستفتيهم ويقتدي بهم .

3- أن يكون مغيب العقل بجنون ونحوه .

4- أن لا تبلغه نصوص الكتاب والسنة ، أو بلغته ولم تثبت عنده - إن كانت سنة - أو لم يتمكن من فهمها .

5- بلغته وثبتت - عنده - وفهمها ، لكن قام عنده معارض - من رأي أو ذوق - أوجب تأويلها ، وإن كان مخطئاً . ويدخل معه المجتهد المخطئ ، فإن الله يغفر له خطأه ويثيبه على اجتهاده إن كان حسن النية .

وعليه ، فلا يجوز الحكم على معين بالكفر إلا بعد تحقيق شروطه وانتفاء موانعه ، وما أثر عـن بعض السلف من إطلاق التكفير واللعن فهذا يبقى على إطلاقه وعمومه ، ولا يتعين في حــــق إنـسـان إلا بدليل : قال ابن تيمية - رحمه الله- : "فإن الإمام أحمد - مثلاً - قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي الصفات ، وامتحنوه وسائر علماء وقـته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس، والقتل والعزل عن الولايات ، وقطع الأرزاق ، وترك الشهادة ، وترك تخليصهم من أيدي العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية ؛ من الولاة والقضاة وغيرهم : يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقاً لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويـحـكـمـون فـيــه بحكمهم في الكافر..

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ، ممن ضربه وحبسه ، واستغفر لهم ، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستـغـفـار لهم ، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية ، الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق ، وإن الله لا يُرى في الآخرة.."(3) .

فالمخالف للكتاب والسنة إما أن يكون مجتهداً مخطئاً ، أو جاهلاً معذوراً ، أو متعدياً ظالماً كأن يرتكب كبيرة ، أو منافقاً زنديقاً كأن يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، أو مشركاً ضالاً وهو المصرح بالكفر . وكل يعامل بحسبه .

العذر بالجهل (4) :

لا بد من التفريق بين جاهل تمكن من العلم ومعرفة الحق ثم أعرض عنه ، وآخر لم يتمكن من ذلك بوجه:

فالمتمكن المعرض مفرِّط تارك للواجب عليه ، لا عذر له عند الله ، وأما العاجز عن السؤال والعلم لا يتمكن منه بوجه ، فهم قسمان :

1- مريد للهوى ، مؤثر له، محب له، لكنه غير قادر عليه وعلى طلبه،وذلك لعدم وجود من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة .

2- معرض لا إرادة له ، لكنه لا يحدث نفسه بغير ما هو عليه .

فالأول يقول : يا رب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه . ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي، ونهاية معرفتي.

والـثـانـي راض بما هو عليه . لا يؤثر غيره عليه ، ولا تطلب نفسه سواه ، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته . فهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق:

فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به ، فعدل عنه - بعد استفراغ الوسع في طلبه - عجزاً وجهلاً .

والثاني كمن لم يطلبه ، بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المرض .

الهوامش :

1- انظر : فتح المغيث للسخاوي 1/334 ، ومجموع فتاوى ابن تيميه 12/501 .

2- انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية 3/179،231، 3/345، 346، 7/217،21 8، وطريق الهجرتين لابن القيم ص 412-413 .

3- انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية 12/488 ، 489 ، وانظر : 23/348 ، 349 .

4- انظر : طــريـق الـهـجـرتـيـن لابن الـقـيـم ص 412-413 ، ومجموع فتاوى ابن تيمية 22/16، واقتضاء الصراط المستقيم .

@آفات في طريق الدعوة

عبد الرحمن دمشقية

الدعوة إلى الله ميدان رحب سـلـك فيه الداعون إلى الله أساليب متنوعة بهدف تبليغ الحق والنصح للأمة أفراداً وجماعات ، والدعاة الصالحون المستنون بمنهج أهل السنة والجماعة يعملون بكل جهد واجتهاد للاقـتـداء بـسـنـة الـرســـول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - وبصحابته ومن تبعهم بإحسان . إلا أن هذا الميدان الهام قد يدخله وينتسب إليه نفر ليسوا على المستوى المطلوب علماً وتربية وسلوكاً ، وقد ينزلـقـون فـي خـضـم دعـوتهـم إلى أخطاء ومـلاحظـات قد تنعكس سلباً على هدف الدعوة السامي . والكاتب يبين لنا بعض الآفــات على طــريـق الدعوة للحذر منها وعدم الوقوع فيها لتكون دعوة الداعي الحق على نور من الله ووفقاً لسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

- البيان -

الآفة الأولى :

الشرك وقلة الإخلاص وابتغاء الدنيا بعمل الآخرة : عن أبي سعيد بن فضالة قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة - ليوم لا ريب فـيـه - ناد منادٍ : من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك«(1) . وقال : »بشِّر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين فـي الـبلاد والنصر فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا ، فليس له في الآخرة من نصيب«(2) . وقال: »إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . فقالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله -عز وجل- إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء«(3) .

الآفة الثانية :

كتم العلم والتكاسل والتباطؤ عن نشره : فإن مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدِّث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه . كما قال ذلك رسول الله(4) . وقد أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا العلم أن يبينوا ولا يكتموا ((لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ)) [آل عمران 187] . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »من كتم علماً لجم يوم القيامة بلجام من نار« ، وفي رواية: "ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار"(5).

الآفة الثالثة :

مخالفة العلم للعمل ، وذلك بأن يعظ الناس بخير لا يبالي هو العمل به قال تعالى : ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وتَنسَــوْنَ أَنفُسَكُمْ)) [البقرة 44] . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه(6) فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار

عليه ، فيقولون : يا فلان! ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه«(7) .
وقال : »مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: خـطـبــاء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون"(8) .
وجاء في رواية : »ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به«(9) . وفي رواية يخالفونه بالنهار وينامون عنه بالليل .
وأخبر أن مما يسأل عنه العبد يوم القيامة »عن علمه ماذا عمل به«(10)
وضرب مثلاً لمن يعلم النار وينسى نفسه قائلاً : »مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه« وفي رواية : »كمثل الفتيلة ، تضيء على الناس ، وتحرق نفسها«(11) . فهذا العلم الذي يتـصـف به العالِمٌ ، عِلمٌ ضار بصاحبه غير نافع له هو حجة عليه . وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ بالله من علم لا ينفع"(12) .

الآفة الرابعة :

الادعاء والمباهاة بالعلم: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: »يظهر قوم يقرأون القرآن يقولون:من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ من أفقه منا ؟ ثم قال لأصحابه: هل في أولئك من خير؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أولئكم منكم من هذه الأمة ، وأولئك هم وقود النار«(13) .

الآفة الخامسة :

طلب العلم للمجادلة وغلبة الناس : حيث يظهر المجادل وكأنه ينتصر للحق ، وإنما يريد إثبات ذكائه وقوة لسانه ، إن هذا في الحقيقة يريد العزة لنفسه لا لربه . لقد كان الشافعي -رضي الله عنه- يقول : »ما جادلني خصم إلا وتمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه« .

الآفة السادسة :

التعصب لأقوال الائمة والعلماء، ومحاولة تبرير أخطائهم . ولم أر شيئاً يحجر العقول مثل التعصب لعالم أو لمذهب،لأن التعصب منهج بعيد عن منهج الإسلام لا يفسح المجال للعقل ليكون مرناً يفحص الأشياء .

أين الطريق :

إن الذي فرض هذه الغاية لم ينس أن يعلمنا الوسيلة لتحقيق هذه الغاية، قال تعالى : ((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْـحِـكْـمَــةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) ، ((ولَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) .
إن الدعوة يجب أن تقترن بالخلق الحسن ، ولين الجانب ، والتأمل والتريث . وإن خلت من هذه العوامل فقد تنفع المدعو، وقد تضر به إذ تدفعه دعوة الحق - بالأسلوب الباطل - إلى الإصرار على الخطأ. فإن الناس معادن ويختلفون في ردة الفعل . لذا كان قدوتنا في ذلك الخُلُق العظيم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الــذي وصفه الله تعالى بقوله : ((وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍ)) [القلم 5] ، وقد قال هو عن نفسه : »إنما بعثت لأتمم مكارمَ الأخلاق"(14) .
وإذا كان التحلي بالخلق الحسن واجباً على الناس جميعاً فهو على الداعية أوجب وأحرى. وكذلك قصة الإعرابي الذي بال في المسجد فراه الصحابة وهموا بضربه ، فزجرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمرهم أن يهريقوا فوق بوله سَجْلاً(15) من ماء ، ثم قال: »إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين« . فما كان من الأعرابي إلا أن قال: »اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً أبداً« . لقد رأى من النبي - صلى الله عليه وسلم - من حسن الخلق ومن السماحة واللين ما لم ير من غيره .

الهوامش :

1- رواه الترمذي في التفسير ، والحاكم 4/329 ، وقال صحيح ووافقه الذهبي .
2- رواه أحمد في المسند 5/134، والحاكم 4/311 ، وقال »صحيح الإسناد« ووافقه الذهبي.
3- رواه أحمد في السند 5/428 بإسناد جيد .
4- رواه الطبراني بإسناد ضعيف . غير أن له شاهداً من حديث ابن عمر الذي رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (1/122) فالحديث بذلك حسن الإسناد . قاله الألباني. (صحيح الترغيب والترهيب رقم 117) .
5- رواه ابو داود والترمذي وحسنهّ . وصححه الألباني الترغيب رقم (116) .
6- أي تخرج أمعاؤه من داخل بطنه .
7- متفق عليه .
8- رواه البيهقي وابن حبان وصححه الألباني في الترغيب رقم (121) .
9- رواه البيهقي وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح ،صحيح الترغيب للألباني رقم (121) .
10- رواه الترمذي ، والمنذري وصححه الألباني في الترغيب رقم (123) .
11- رواه الترمذي ، والطبراني في الكبير وقال المنذري "إسناده حسن" وصححه الألباني في الترغيب رقم (126) .
12- رواه مسلم رقم (2722) .
13- رواه الطبراني في الأوسط والبزار بإسناد حسن ، (صحيح الترغيب 131
14- رواه أحمد 2/381 والبراز كما في المجمع . وقال الهيثمي »رجاله رجال الصحيح« .
15- سَجْلاً : أي دلواً .

من مظاهر الانحراف الفكري في الصحافة العربية

د. محمد بن سعود البشر

- 1 -

إن من نعم الله علينا أن بلغنا هذا الزمان الذي يشهد صحوة إسلامية مباركة ، ورجوعاً من المسلمين إلى الله تعالى أفراداً وجماعات، شيباً وشباباً، رجــالاً ونـســاء ، وعودة راشدة إلى الحق وإلى منهاج كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، تقود طلائعها ثلة من العلماء ، وكوكبة من الدعاة، يرشدون الناس ويوجهونهم، ويـذكــرونـهـم بـأيـام الله، ويبينون لهم صراطهم المستقيم .

وإن مـــن سنة الله الـتي خلت من قبل أنه ما من زمان ترفع راية للسنة ، ويعلو فيه شأن للمسلمين، ويرتـفــع لواؤهم ، إلا وتظهر فيه طائفة من الناس قد امتلأت قلوبهم غيظاً لعز الإســـلام، وحقداً لعزة المسلمين، وارتوت أفئدتهم خبثاً ومكرا، ينتبذون مكاناً قـصـيــاً، ويسلكون مـسـالك شتى في الكيد للإسلام والتربص بحملته ، وإن مما ابتلي به المسلمون في هذا الزمان نفـــــر من بني جلدتهم ، يعيشون بينهم ومعهم ، يلبسون ثيابهم ، ويتكلمون بلسانهم ، لكنهم يحـمـلـــــون همَّاً غير همِّ دينهم ، ويدعون إلى منهج غير منهج قرانهم وشريعتهم ، يسلكون في ذلك طـــرائق قدداً ، فمرة يؤذون المؤمنين باسم التطرف ، وتارة يتطاولون على أعراض العلماء وطلبتهم باسم الحرص على الدين ، وأخرى يلزمون الدعاة إلى الله باسم الحفاظ على المصلحة العامة واستتباب الأمن ، وكل ذلك يصدر من مجتمعات إسلامية ، وتقرؤه جماهير المسلمين ، ينشرون ذلك باسم الحرية ، حرية الرأي ، وحرية التعبير،وحرية القلم، أمـــا غـرضـهـــم الأســـاس فهو الانتقاص من قدر العلماء والدعاة وتجريحهم ، والتشكيك فيهم ، ومحاولة نزع الـثـقــة منهم حتى لا تقوم للإسلام قائمة ، إدراكاً منهم أن تلك الصفوة من حملة الدين عليهم الـمـعــوّل بعد الله في نشره وفي تمكين الصحوة .

- 2 -

وإن مما ابتليت به مجتمعاتنا الإسلامية مؤخراً فئة ممن تسنموا الصدارة الصحفية وامتطوا صهوة أقلامهم لحرب العلماء والدعاة ، ونـشـر مقالات صريحة وجريئة في التطاول عليهم والانتقاص من قدرهم . وهم يعلمون أن جماهير القراء غالبيتهم من المسلمين ، وأن ما يكتب في الصحيفة هو بالدرجة الأولى موجه لهم ، وإن من أهم الكتابات التي تلفت أنظارهم هي تلك التي تكتبها أسماء معروفة ذات نفوذ مؤثر، وذلـك لأن تلك الأقــلام عـــادة مـا تكون مسؤولة أو تعبر عن اتجاه الصحيفة كوسيلة إعلامية تعبر عن واقع

المجتمع الذي تعيش فيه، أو - في أقل الأحوال - تكون مرآة لقياس فكر القائمين عليها وسياساتهم وتوجيهاتهم . ومن هذا المنطلق فإن ذلك السيل الهادر من المقالات المدبجة بعبارات الذم وكيل التهم للدعاة والناصحين للأمة التي بدأت تطالعنا بها صحافة تصدر في مجتمعات إسلامية كان محل تساؤل الكثيرين من أفراد الأمة الإسلامية ، بل وغضبهم مما يقال وينشر . إن تلك الفئة من الكتبة يتحدثون بدعوى حرية الرأي عن قضايا ذات علاقة بصفوة الأمة وهم علماؤها وطلابهم والدعاة إلى الله والناصحون للمسلمين ، وتلك وأيم الله قضية ينبغي لمن أراد الكتابة عنها أن يستكمل شروطها ، وأن يفكر ويقدر قبل الشروع في الحديث عنها .

إن ذلك التوجه الخطير في الصحافة العربية له عواقب وخيمة على الأمة ، وإن مما يزيد خطورته غض البصر عنهم من قبل الأنظمة السياسية في الدول العربية التي أعطتهم الضوء الأخضر لنهج ذلك المسلك. وكان من نتيجة ذلك أن تمادى هؤلاء الكتاب في غيهم، وتحدوا مشاعر المسلمين وذلك من خلال الكتابة عن علمائهم ودعاتهم بأسلوب فظ غليظ ، ومن خلال تسمية الدعاة والعلماء بأسمائهم والتعريض بهم والانتقاص من قدرهم ومكانتهم ، وأخيراً من خلال ذكر أسمائهم في افتتاحيات الصحف وأغلفة المجلات إمعاناً في الجرأة ولفتاً للانتباه ، في محاولة فاشلة منهم إما لجذب القارئ وكسبه ، وإما استفزازاً له وتشفياً منه .

إن من يتابع ذلك الزخم الهائل من المقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية التي ينشرها أولئك الكتبة على صدر صحفهم وأغلفة مجلاتهم تتبادر إلى ذهنه عدة انطباعات عامة هي في نظري القاسم المشترك الذي يجيع بينها ، ومن تلك الانطباعات ما يلي :

أولاً :أن الكتابة عن الدعاة إلى الله وحملة الإسلام والناصحين له بقصد الانتقاص من قدرهم والتطاول عليهم ، وتشكيك الناس فيهم لنزع الثقة منهم ، وتسميتهم بأسمائهم الصرحية بالأسلوب الذي تنتهجه الصحافة العربية لا يخرج في نظري عن أحد أمرين :

أ- إما غرض شخصي للكاتب لا نعرف نحن القراء كنهه ولا دلالته ، وفي ذك تجن علينا باقتطاع مساحة كبيرة من الصحيفة - وذلك من حق القارئ - لتحقيق مآرب ذاتية وتلبية رغبات شخصية .

ب - وإما محادة صريحة للمؤمنين وإيذاؤهم ، وقد جاء الوعيد لمن انتهج ذلك المسلك في قوله تبارك وتعالى: ((والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإثْماً مُّبِيناً)) .

ثانياً: إن هذا التوجه في الصحافة العربية يتزامن مع أحداث لا تزال تقع في بعض الأقطار العربية كان طرفاها الحكومات العربية من جانب والجماعات الإسلامية(وبعض المحسوبين على الحركات الإسلامية) من جانب آخر . وإن

ذلك توقيت في غير أوانه، بـل إن الكثير من المسلمين يعتقد أن ذلك أمر قضي بليل ، فهم يساهمون بشكل مباشر في ضرب المسلمين وشباب الصحوة الإسلامية ويتعاونون مع أنظمتهم في تنفيذ ذلك ، ثم هم أيـضـاً بالتطاول على أهل العلم وطلاب العلم والمنتسبين إلى الدعوة الإسلامية يلتمسون عذراً لـمن يتصيد في الظلام من دعاة الفساد ورؤوس الضلالة في المجتمعات الإسلامية .

ثالثاً : أن أولئك الكتبة الذين ابتليت بهم صحافة الأمة يحاولون لفت انتباه الجماهير لما يكـتـبون بطريقة تتنافى مع أعراف الكتابة والصحافة . إن مصطلح "جذب انتباه القارئ" للصحيفة لا يكون بتلك الطرق المجانبة للصواب ، لقد درسنا الصحافة والسياسة في بلاد الإســلام وفي البلاد الغربية وما سمعنا ولا قرأنا ولا علّمنا أساتذة الإعلام أن هذا المصطلح الصحـفـي يجب أن يستخدم على حساب المبادئ والقيم والقوانين السائدة في المجتمع - أي مجتـمـع - وإن مـصـطـلـح "الحرية" ليس مطلقاً بل مقيداً تقييداً يتناسب و "المصلحة العامة" للمجتمع ، وإلا أصـبـحـت الحرية فوضى ، والتعبير الحر هجوماً معلناً ، فكيف ونحن نتعامل مع هذين المصطلحين فـي مجتمعات إسلامية تحكمها ضوابط الدين والشرع والأخلاق .

إن تلك المنابر الصحفية التي تسلقها أولئك الكتبة ويفرضون على الناس آراءهم من خلالها هي منابر لا يملكونها ، بل هم كغيرهم من أفراد المجتمع أنيطت بهم مسؤولية إدارتها أو الإشــراف عليها ، وليس من حقهم ولا من حق المجتمع عليهم أن يستغلوا تلك القنوات الإعلامـيــة بدعـــوى "حرية الرأي" وأن ينشروا ترهاتهم وفكرهم الدخيل على صفحات الرأي.

- 3 -

تردد الصحافة العربـيــة وأبـواق الإعــلام الـعـربـي بـشـكـل عام مصطلحات دخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية ، غربية غريبة ، تترجمها الصحافة الـعـربـيـة على عواهنها بدون تمحيص ولا غربلة لمدلولها ، مثل "الأصولية" ، "الإرهاب" ، "التطــرف" إذا أطلقت في سياق وصف الإسلاميين والجماعات الإسلامية .

وإن من نافلة القول أن نؤكد هنا أن تلك المصطلحات وغيرها مما سنذكره بعد قليل هي مصطلحات تتناقلها وسائل الإعلام الغربية وتستقبلها وكالات الأنباء العربية وتقوم بترجمتها حرفياً وتضمينها فـي الـمادة الإعلامية المنشورة فيجدها القارئ العربي تتصدر الأخبار والتحقيقات والمقالات الصحـفـيــة الـتـي يطالعون بها القراء بكرة وعشياً .

ولـئـن تلـقـاها القارئ العادي بشعور بارد تجاهها إما لجهله بمصدرها أو بمدلولها إلا أنها تأخذ بعداً آخــــر حينما تتردد على ألسنة الكتاب وأصحاب النفوذ الإعلامي ، وهذا ما وجدناه في ذلك التوجه الجديد بل الدخيل على صحافة المجتمعات الإسلامية . لقد قرأنا ما نشره أولئك الكـتـبـة فـوجـدنا فيه

من سطحية في الطرح ، وغثائية في الفكر ، وتقليدية غربية في الأسلوب ، وقد اتبعوا في ذلك أسلوبا فظاً غليظاً في الحديث عن الدعاة وشباب الصحوة الإسلامية لم يخل من مغالطات شرعية يتحاشاها من ينتسب إلى الإسلام فضلاً عمن يدعي إصلاح المجتمع الإسلامي :

- فهم يصفون التدين والالتزام بـ (التطرف الأعمى) .
- ويصفون الصحوة الإسلامية بـ (الظاهرة الاجتماعية) .
- ويصفون الدعاة إلى الله بـ (أدعياء العلم) .
- ويصفون الحق الذي هو غاية الدعاة بـ (الخداع والتضليل) .
- ويصفون طريقة العلماء في نشر العلم - عن طريق الكاسيت مثلاً - بـ (أساليب غير مشروعة) .
- وعمموا الحكم على الجماعات الإسلامية ووصفوهم بأنهم كلهم (إرهابيون) .
- ويصفون الحريصين من طلبة العلم على متابعة الدروس والمحاضرات الدينية بـ (المتطرفين) .

تلك بعض من المصطلحات الدخيلة على عقيدة الأمة وفكرها ، فالرجوع إلى الحق والتدين والالتزام بمنهج الكتاب والسنة هو "تطرف أعمى" والدعوة إلى هداية الناس ورجوع الشباب إلى الإسلام يسمى "ظاهرة اجتماعية" ، ومن يستخدم هذا المصطلح يعرف مدلول الظاهرة الاجتماعية ومفهومها واستخداماتها عند أساتذة الاجتماع ، أما استخدام أشرطة الكاسيت وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية لنشر العلم وإرشاد الناس وتبصير الأمة وهدايتها فذلك في نظر تلك الطائفة من حملة الأقلام الموبوءة "أساليب غير مشروعة"، وكأنهم قد نصبوا أنفسهم علماء بالحلال والحرام ، والمشروع والممنوع ، وتجاهلوا من يستخدم هذا النوع من الوسائل الإعلامية في نشر الفساد والرذيلة في المجتمعات الإسلامية، وسخروها للهو والغناء ومبتذل القول ورخيصه، وطلبة العلم وشباب الصحوة في مفهوم تلك الشريحة من حملة الأقلام هم "متطرفون"، ولو ناقشت أحدهم في مفهوم التطرف فلن تجد عنده الجواب الشافي، بل سيقول لك سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، أما الوسطية أو الإفراط فلم يستوردوها بعد من أبواق الإعلام العالمي ؟!

ثم انظر إلى أساليب التعبير الأخرى في مسيرة الإصلاح الإعلامي الذي يدعونه ، مسيرة تصحيح العقيدة والمفاهيم في المجتمع الإسلامي ، يصفون مشاعر الدعاة في نصرة الحق بأنها أصيبت بالهوس بعد أن تسلل إلى قلوبهم واهتماماتهم بأسلوب عاطفي يرفضه العقل والمنطق السليم !! ثم إن هؤلاء الدعاة جاهلون بمواقف علماء الأمة من مجمل القضايا التي تخضع لأحكام العقيدة الصافية !! هذه هي جريمة الدعاة الذين وضعتهم تلك الطائفة من

الصحفيين في قفص الاتهام بتهمة الجهل المدقع بالعلم الشرعي وبفقه الواقع !!
وإننا نتساءل: مـن أيـن يـؤخـــذ العلم الشرعي ؟ أمن صدور العلماء والدعاة أم من الأقلام الصحفية المأجورة؟
أمـــا أسـاليـب الـدعـاة إلى الله في نصـرة المظلومين من المسلمين في البلاد الإسلامية فهي "أساليب إرهابية" !! لـمـاذا ؟ لأن هــؤلاء الدعاة مهتمون بالدفاع عن "إرهابيين في بلدان عربية مسلمة لا هدف لهم سوى زعزعة الأمن والاستقرار وتنفيذ تعليمات مصدري الإرهاب في بلدان أخرى".. أما "الإرهابيون" فهو المصطلح الذي أطلقوه على المضطهدين في السجون الذين ينادون بالإسلام شريعة ومنهاجاً، وأمــا مـصـــدروا الإرهـــاب فهم قادة الجماعات الإسلامية الذين يطالبون بتطبيق الإسلام وينادون بالحاكمية المطلقة لله في الأرض .
إن الذين يكتبون باسم الحرص على الدين،وباسم الحفاظ على المصلحة العامة يجب عليهم أولاً أن يتبعوا تعاليم الدين وأن يـطـبـقـوه فـي واقـعـهـم حـتـى يـكـون لـكـــلامهم القبول والاستحسان، وإن الذين يكتبون باسم الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحـسـنـة والبعد عـــن التعصب والتشنج لا بد أن يبدؤا بأنفسهم أولاً حتى لا يدعوا إلى ما يخالفونه ، وأن يـتـدبـــروا مـنـهـج القرآن في ذلك : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً..)) [الأحزاب 70] ، ((والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)) [المؤمنون 3] ، ((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَـى)) [طـــه 44] ، ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ..)) [الحج 30] ، ((وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ..)) [الإسراء 53] .
وأن يتدبروا سنة المجتبى - صلى الله عليه وسلم - في التنازع والتخاصم في الباطل . روى مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: »من خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط من الله حتى ينزع ، ومن قال في مسلم ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال« .
إن في نصوص الكتاب والسنة معالم المنهج الأمثل للتفكير والحوار ، أما أن يُتخذ الإسلام ودعوى المحافظة عـلـيـــه والحرص على المصلحة العامة ذريعة لإثارة الفتنة وزرع بذور الفرقة والتمزق في المجتمع، ويكون ذلك مطية للنيل من الدعاة والناصحين بكل طرق القول السيء والهجاء المقذع فذلك أمر يرفضه الدين ، ويمقته أقل الناس علماً ، فضلاً عن الدعاة وطلبة العلم .

- 4 -

لقد حدثتنا قصص القرآن الكريم فـي حقب مختلفة من التاريخ عن ذلك الصنف من الناس الذين استغلوا سلطانهم ومكانتهم في المجتمع بغرض الكيد

للإسلام وأهله بدعوى الإصلاح ، والحرص على الأمن واستتابه ، والحفــاظ على المصلحة العامة ، فنصبوا أنفسهم دعاة مرشدين للناس وهم أبعد ما يكونون عن حقـيقـة الدعوة والإرشاد . يقول -تبارك وتعالى- عن فرعون وقصته مع موسى -عـلـيه السلام- : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ولْيَدْعُ رَبَّهُ إنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الـفَـسَـــادَ)) [غافر 26] . يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية : انظر كيف أصبح فرعـــــون مذكراً وواعظاً(1) ، فنصّب فرعون نفسه داعية للناس ومحذراً لقومه ومنذراً لهم مـن موســــى -عليه الصلاة والسلام- من أن يبدل دينهم أو أن يظهر في الأرض الفساد . ففرعون على قوته وجبروته وبأسه في قومه لم يمنعه ذلك من الظهور بمظهر الناصح لهم !!

ولكن سرعان ما تظهر حقيقة هذا الصنف من الناس الذين يتخذون مـن مبدأ النصح للأمة قناعاً ووسيلة لتحقيق غاياتهم الدنيئة ، ويكون ذلك - كما أخبر عــز وجل - إما بقولهم وإما بسيماهم : ((وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ولَتَعْرِفَـنَّـهُـمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ واللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)) [محمد 30] ، يقول علي بن أبي طالب -رضي الله عـنـه- : «.. وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه ، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شراً واراه . وإن المنافق يـتكلـم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه«(2) .

إن مـخـاطـبـة الأمــة عبر الوسيلة الإعلامية بمادة مليئة بالمخالفات الشرعية ، ومحاولة تطويع نصوص الشريـعـة لتحقيق الهوى والمآرب الشخصية من الانتقام للذات ، ومحاربة للدين وأهله بدعوى الحرص عليه والمحافظة على مصالح المسلمين ، وكيل التهم والتشهير بالدعاة إلى الله والناصحين للأمة ، واستخدام الأساليب المبتذلة والرخيصة في ذلك ، إن ذلك كله مما ترفضه مجـتـمـعـاتـنا الإسلامية جملة وتفصيلاً ، لأنه باختصار يتعارض مع عقيدة المجتمع ودينه ، وهو ما ينافي نظامه الإعلامي الذي يجب أن يستمد إطاره الكلي من قواعد الإسلام وأصوله ، ذلك لأن الكلمة في إعلامنا ينبغي أن تكون قادرة على إيصال معناها إلى جماهير الأمة ، فلا تـنـوء بـحـمـل معانيها ، وأن يراعى في اختيارها الأسلوب الأمثل في مخاطبة المسلمين ، وهو أسلوب ينأى عن الكلمة النابية واللفظة الرخيصة واللغة الحادة أو المبتذلة المنافية للذوق الإنساني(3) .

إن من يعيش في مجتمعنا ، ويحمل هماً غير همِّ ديننـا ، ويلبس ثوباً غير ثوبنا ، وينادي بدعوة لا يرتضيها رب العالمين ، وينشر فـي مجتمـعـنا كل ما يبعد الناس عن حقيقة هذا الدين ، وينادي بأفكار ظاهرها الرحمة وباطنها من قـبـله العذاب ، بدعوى الحفاظ على الدين ، والمصلحة العامة ، وحرية الرأي ، وغير

ذلك من الدعاوى الباطلة ، وشعارات زائفة ، أحرى بهؤلاء أن ينبذوا ، وأن يشرد بهم من خلفهم ، وإن لحرية الرأي العام في مجتمعاتنا الإسلامية ضوابط معروفة معلومة ، وإن استخدام هذه الحرية في غير مواضعها هو تجنّ سافر على القيم والمبادئ السائدة في المجتمع ، يدرك ذلك كل إنسان حباه الله فطرة سليمة وعقلاً رشيداً ، وتعاملنا مع مصطلح الحرية محكـوم بضوابط الدين والشرع ، وإلا أصبحت الحرية فوضى ونبتة سوء تفرق الأمة ، وتظلل الفـتـنـة ، وتقود إلى الفرقة والتمزق . وذلك ما سقطت فيه الصحافة العربية حينما قادها من أعمى الله بصيرتهم عن الحق ، فنشروا الفكر الدخيل على عقيدة الأمة ، فكر يوحي بالضيـاع ويدل على الغفلة والجهل بهذا الدين . وإننا نربأ بصحافتنا أن تنشر علينا فكراً هـزيـلاً يستمد جذوره من مظاهر "الانحراف الديني" و "الهوس الحضاري" المريض .

الهوامش :

1- تفسير ابن كثير ، 4/77 .
2- علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، 2/113-114 .
3- محمد كمال الدين إمام، النظرة الإسلامية للإعلام، دار البحوث العلمية، الكـويـت ، ط 2 ، 1403 هـ ، ص 159 بتصرف .

@معالم في طريق التغيير

محمد محمد بدري

لا شك أن المسلم الذي يرى الحياة من خلال واقعه وليس من خلال أمـانـيه ، يدرك لأول وهلة أن "واقع" الأمة الإسلامية اليوم هو مصداق قول رسول الله -صلى الله علـيـه وسلم: »يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ ، قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعــن الله المهابة من صدور أعدائكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت«(1) .

فقد أصبحت الأمة الإسلامية "غثاء" من النفايات البشرية الخاوية ، تعيش على "ضفاف" مجرى الحياة الإنسانية كدويلات متناثرة ومتصارعة،تفصل لينها حدود جغرافية ونعرات قومية مصطنعة ، وتعلوها راية "الوطنية" ، وتحكمها قـوانين الغرب العلمانية.. تدور بها "الـدوامـات" الـسـيـاسية فـلا تملك نفسها عن الدوران، ولا تختار حتى المكان الذي تدور فيه!!

لـقـد قـذف الله فـي قـلــوب المسلمين "الوهن" فأصبحت أمتهم تخاف من تكاليف الحرية ومجابهة الظلم في الداخــــل ، وتجبن عن صد الغزاة في

الخارج.. فتداعت عليها الأمم ، وأحاط بها الأعداء الذين أوصلوها إلى مرحلة "القصعة المستباحة" التي حذرها إياها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
ولا ريب أن هذه الحال تـؤرق أكـثـر المسلمين وتقض مضاجعهم ، فتقفز إلى أذهانهم أسئلة بكثيرة : كيف نخرج بأمتنا من أزمـتهـا ، وننتقل بها من الاستضعاف إلى التمكين ؟ ومن التبعية إلى الريادة ؟ كيف نرفع "غثاء" الأمـــــة الإسلامية من حضيضه الذي يعيش فيه ليعود كما أراده الله خير أمة أخرجت للناس ؟
ولكن لا موغل في "حلم" الريادة البشرية على حـســـاب "حقيقة" التبعية ، أو تهرب من مواجهة "واقع" الاستضعاف بالانغماس في "خيال" التمكين ، لا بد أن نحزم أمرنا ونعد عدتنا ، ونجد السير في طريق التغيير الذي يمكن أن نتبين بعض معالمه فيما يلي :

1- إقامة الفرقان الإسلامي :

بينما كـــان الاستعمار القديم يستعين بقواته العسكرية لقهر شعوب المستعمرات، لـم يـعـد الاستعمار الجديد في حاجة إلى استخدام القهر بالقوات العسكرية ، بعد أن أفلح في اختيار عملائه وصـنـائـعـه من النخبات "الوطنية" التي أشربت في قلوبها ثقافة الاستعمار وتربت على يديه ، ونشأت في كنفه ورعايته.. ثم وقفت تحت راية "الوطنية" وتخفت وراء لافتة "الإســــــلام" لتقـوم بمؤامرة "التباس" الحق بالباطل التي تفتن الأمة عن دينها، وتـمـزق وحدتها وتشتت شـمـلـهـا ، وتوجد الثغرات فيها كي ينفذ من خلالها أعداء الأمة الذين يحطمون قواها ويستنزفون طاقاتها...
لقد تمكن أعداء الأمة الإسلامية عبر النخبات الوطنية ، من مزج الإسلام بالأفكار الغربية عنه من "علمانية" وقـومـيـة و "وطنية" وغيرها ، ليلتبس على الأمة أمر دينها ، وليصبح الإسلام الواحد بعقيدته ومـبـادئــه تشريعاته اسماً متعدداً بتعدد ألوان مؤامرة "الالتباس" التي تصد الأمة عن سبيل الإسلام الحق .
ومن هنا فإنه لا يمكن تحقيق انـطـلاقــة قـويـة فـي طريق إحياء الأمة الإسلامية إلا باقامة "الفرقان" الذي يرفع "الالتباس" ويسقط اللافتات الخادعة التي تتوارى خلفها العلمانية . فيتمايز الناس إلى فسطاطين : فسطاط نفاق لا إيمان فيه ، وفسطاط إيمان لا نفاق فيه.. وعـنـدهــا تخرج الأمة الإسلامية من حال التذبذب إلى الانحياز إلى دينها وشريـعـتـهــا، والانتصار لإسلامها من كل أعدائها .

2- إحياء الهوية الإسلامية :

تشكل الـهـويـة - في أية أمة - الحافز العقدي والدافع النفسي الذي يدفع الأمة في طريق التقدم والحضارة، ويقاوم في ذات الوقت الاجتياح الحضاري للأمم الأخرى.. فما هي هوية الأمة الإسلامية ؟

لا شك أن الإسلام "وحـــده" هو هوية الأمة الإسلامية ، ومحور اجتماع أفرادها ، والقوة الدافعة التي تفجر طاقاتها وتقوي وقفتها في مواجهة كل أعدائها .
لقد قام العملاء من بني جلدتنا بإبعاد الإسلام كـهـويـــة للأمة الإسلامية ، وزعموا أن طريق "الإحياء الحضاري" للأمة هو "إحياء الهوية الوطنية" و "المشروع القومي المتجدد"!!
فأما "الهوية الوطنية" فقد فرقت الأمة الإسلامية إلى كيانات جزئية ومجتمعات منفصلة ، وأصبح الفرد في ظلها يعاني من"الاغتراب" و "فقدان الانتماء" للأمة، فانعزل داخل همومه الفردية واهتماماته الذاتية،.. وتـحـولــت المجتمعات الإسلامية إلى "ركام" من الأفراد لا يربطهم خيط جامع.. ووصلت الأمة إلى المعادلة الصعبة: وطن بلا مواطنين ، ومواطنون بلا وطن..

3- التربية الإسلامية الشاملة :

يتأسس بنيان المشروع الحضاري العلماني على شفا جرف هار من مفاهيم الغرب النصراني عن الدين ، والتي تجعل الإسلام مـجـمـوعة من الطقوس والشعائر لا علاقة لها بشأن من شؤون الحياة !!
ومن هنا كان تعامل زعماء العلمانية مع مشاكل الأمة الإسلامية وأزماتها الحضارية، تعاملاً ناقصاً يشوبه الاضطراب والعجز.. وما ذلك إلا لأن هؤلاء الزعماء يحاولون مصالـحـة "كل" أزمات الأمة ومشاكلها بـ "جزء" من الإسلام !!
ومن هنا فإن المشروع الحضاري الإسلامي لا بد أن يكون منهاجاً للتغيير الكامل والجذري، يـقـوم بمجابهة الأزمات الحضارية للأمة والانتكاسات الفردية والاجتماعية عبر "خطاب إسـلامي شـامــل" يهتم بالجانب العقدي والتشريعي والسلوكي اهتماماً متوازناً ومتعانقاً ، يعالج السقوط العقائدي والاجتماعي والأخلاقي علاجاً شافياً..

4- إخراج الأمة المسلمة :

وفـي ظــل عنف الحكام في معاملة خصومهم السياسيين ، وإرهابهم لكل من يعارض أمراً يهمون به . فـي ظل ذلك تخلى أكثر الأمة عن "واجب" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة للحكام ، وآثروا العافية يأساً من الإصلاح ، ورغبة في إصلاح الذات!!
وفي ظل هذا الواقع ، لا بد أن نؤكد أن المسئولية عن الإسلام هي مسئولية كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمــداً رسول الله على تفاوت في الدرجات بتفاوت الاسـتـعـــدادات، والقدرات،والمواقع، والظروف.. وأن العمل الإسلامي هو جهاد "أمة" وليس جهاد "حزب" أو "جماعة" أو "تنظيم" .
ومن هنا فـإن "إخراج الأمة المسلمة" هو العلاج الحاسم ، والوقاية الحقيقية لكل المسلمين من نماذج الأنظـمـة الطاغية التي تُخرجها العلمانية ، والتي

يراد بها حرق "المستضعفين" من المسلمين في أتون الظلم والقهر والاستعباد .

5- الطليعة تقود الأمة :

يضع الإسلام لقـيـادة الأمـــة الإسلامية شروطاً دقيقة ومواصفات خاصة .
وتؤكد الأصول الإسلامية أن "أولي الأمر" هم "العلماء والأمراء".. بل إن أكثر المفسرين يرون أنهم "العلماء" وحدهم .
ولا شك أن هذا الاهتمام بأمر القيادة في الأمة الإسلامية ، يرجع إلى أن الأمة التي يقودها ويتولى زمام أمورها "فقهاء" و "أولو ألـبـاب" تتقدم وتنتصر ، أما الأمة التي يقودها ويتولى زمام أمورها "خطباء" لا يحسنون إلا الـتلاعب بالمشاعر والعواطف.. فإنها تبقى تتلهى بـ "الأماني" حتى إذا جابهت الأزمات لم "يفقه" حكامها من "الخطباء" ماذا يصنعون ؟ وآل أمرهم إلى الفشل ، وأحلوا أمتهم دار البوار .
ومن هنا فإنه لا سبيل إلى الإحياء الحضاري للأمة الإسلامية إلا أن يوجد في الأمة "فقهاء" يتصفـون بصفات المؤمنين ويتحركــون على أســاس من الوعي يقيم الوحي قرآناً وسنة مع الدراية بشؤون الواقع.. "فقهاء" يتميزون بمنهجيتهم وموضوعيتهم في رؤية حقائق الواقع، ومواجهة تحديات العصر..
ولكي يستطيع هؤلاء الفقهاء حمل رسالة أمتهم وتقديم العطاء الحضاري المنشود ، لا بد أن يكون عـمـلـهـم بـ "روح الـفـريـق" ولا بـد أن تربط بينهم من شبكة من العلاقات العقائدية والاجتماعية خيوطها الإيمان والتكامل والـتـنـاصــر والـجـهــاد فـي سبيل الخروج بالأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ومن الاستضعاف إلى التمكين .
إن "نواة" الفقهاء التي تتسم بالفاعلية والحيوية ، تجذب إليها "صفوة" الفكر والتجارب ، و "خيرة" القدرات والإمكانات ليتكون من هؤلاء جميعاً "طليعة" قوية قادرة على تحدي كل أعداء الأمة ، ومواجهة جميع أزماتها ، والسير في طريق الإحـيـــاء الحضاري بصبر ودأب ، حتى يأذن الله بالانبعاث الإسلامي المنشود.. وإذن فإن قيادة الطـلـيـعـة المـؤمنة للأمة الإسلامية هو في حقيقة أمره "تشترطه" أسس التغيير ، وتستدعيه متطلبات التمكين.

6- إحياء الفاعلية الإسلامية :

يُقَسِّم المراقبون العالم اليوم إلى "الشمال" تعبيراً عن العالم المتقدم.. و "الجنوب" تعبيراً عن العالم المتخلف..
فأما الأول : فيمثل في الدول المتقدمة ، ويشمل محور اليابان ودول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية وحلفاءهم..
وأما الثاني : فيتمثل في بقية دول العالم التي تقع خارج هذه المحاور .

ولا شــك أن السـبـب الأول للهوة الحضارية بين الشمال والجنوب ، أن دول الأول يتميز أفرادها بـ"الفاعلية" والحرص على الوقت، والتوجه بنشاطهم الجاد في سبيل تقدم أمتهم.
أما دول الثاني ، فإن أفرادها يغلب عليهم "انعدام الفاعلية" والنظر إلى الوقت على أنه لا قيمة له ، وتوجه نشاطهم إلى اللغو والحديث غير المنتج .
وكي نوضح ما نقول فإنه من المستحسن أن نتأمل تجربة بلد مثل اليابان.. إن هذه الدولة تعيش في منطقة فقيرة في موادها الخام.. كـمـا أن وضـعـهــا الجغـرافـي لا يجعلها منطقة استراتيجية.. ولكنها مع ذلك تتقدم يوماً بعد يوم ويغزو إنتاجها التكـنـولـوجـي العــالم الغربي.. فما سر ذلك ؟
إن الـســـر يكـمـن فـي أن فاعلية "الإنسان" الياباني أضعاف أضعاف غيره من أفراد الأمم المتخلفة الذين انعدمت فاعليتهم وتوارت جهودهم..
إن المتأمل للنماذج التنموية في الأمة الإسلامية يجد أن الأنظمة العلمانية ترتكز على عنصر رأس المال على أنه الـعـنـصـــر الوحيد القادر على تحيق التقدم.. ولذلك فهي تهمل بناء "الإنسان" لتنفق على بناء "المصانع"!!
ولا شك أن هذه الطريقة فـي البناء الحضاري هي طريقة "العملاء" الذين يحبون أن تظهر أنظمة حكمهم بمظهر التقدم ، فيقيمون المصانع العملاقة ، ثم يستوردون كل معداتها من الدول المتقدمة.. ويستوردون معها "كوادر" العمل في هذه المصانع . فلا يكون لهذه المصانع والمشروعات التنموية - رغم الإنفاق الكثير فيها - أدنى أثر في التقدم الحضاري المادي.. وما ذلك إلا لأن "الإنسان" في كل هذه المشروعات يكون غائباً ، أو على أحسن الأحوال يكون حاضراً ولكنه يعاني من "اللافاعلية"..

7- الريادة البشرية :

يتوقف "وجود" أية أمة في الحياة على حمل هذه الأمة لرسالتها.. فإذا ضعفــت عن حمل هذه الرسالة، انتهى "وجود" الأمة وحل محلها أمة أخرى لا علاقة لها بها، وإن ربطتها بها روابط الدم والأرض واللغة والثقافة..
وهذا هو ما فهمه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من قول الله - عــز وجل- : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [آل عمران 110] ، حيث قال في تفسيرها : لو شاء الله لقال : أنتم ، فكنا كلنا.. ولكن قال: كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومن صنع صنيعهم ، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .
وإذن فــالأمة الإسلامية إنما تتميز بقيامها برسالتها في الدعوة إلى المعروف وفعل الخيــر، والنهي عـــن المنكر وجميع الشرور.. فإذا تخلت عن شيء من هذه الرسالة نقصت قيمتها بقدر ذلك.. أما إذا تخلت عن هذه الرسالة بكاملها ، فإن مصيرها هو الاختفاء من الوجود والحياة..

ولا شك أن الأمة الإسلامية لا تستطيع حمل رسالتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا إذا كانت تمتلك "الرادع" للعقل الغريب الذي لم يتخل بعد ، وقد لا يتخلى عن حب العدوان والسيطرة ، لاستعباد الآخرين ، ونهب مقدراتهم ، وإشاعة التخلف في حياتهم..

ومن هنا يبرز "الجهاد" رادعاً للعقل الغريب ومضاعفاته في الفتنة والفساد..

يبرز الجهاد ليعكس مفهـوم "الأمن الإسلامي" الذي يركز على إيصال الرسالة وتبليغها إلى الآخرين في جو من الأمـــن الفكري والمادي والنفسي والشعوري يزيل العوائق التي تحول بين الناس وبهت رؤية الحق على حقيقته ، أو تمنع من تبينه من اتباعه..

وحين تقوم الأمـــة الإسلامية بهذا الدور ، وتخوض في سبيله الجهاد الشاق ، سيكون "الإبقاء للأصلح" لا بالمعنى الدارويني الفاسد ، وإنما بالمعنى الرباني : فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)) [الرعد 17] . وسيُخرج الله بهذه الأمة من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.. وستعود الأمة الإسلامية مرة أخرى إلى "الريادة البشرية" .

الهوامش:

1- أخرجه أحمد وأبو داود .

@إسلامية الأدب.. لماذا وكيف ؟؟

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة الثالثة :

يقول المعارضون لمصطلح الأدب الإسلامي إنَّ هذا المصطلح يجعل الأدب واضحاً ومباشراً في خطابه ، والوضوح والـمباشرة عدوان لدودان لفنيَّة النص الأدبي.. والذي يثير العجب أن أصحاب هذا الرأي يعيبون الوضـــوح والمباشرة على إطلاقهما ، ويدعون إلى الغموض من خلال الرموز الغائمة بحجة أن الأديب لا ينزل إلـى مستوى القراء ، بل هم المطالبون بأن يرقوا إلى مستواه فإن فهموا فذلك ما يريد ، وإن لم يفهـمـوا فليس الأديب مسؤولاً عنهم ، ويستدلون على ذلك بالمقولة المشهورة التي قالها أبو تمام لأبي العميثل عندما سأله : لماذا لا تقول ما يُفهم ، فردَّ عليه أبو تمام بقوله: لماذا لا تفهم ما يقال ؟؟ وهو استدلال في غير محلِّه فما كان غموض أبي تمام مستغلقاً علـى الفـهـم ، والذي سأله لم يكن جاهلاً بمعاني أبيات أبي تمام - كما يظهر لي - فهو ذو مقدرة لـغـويـة وأدبية استحق بها أن يكون هو الذي يجيز القصائد التي تُلقى أمام الخليفة . والذي أمـيـل إليه أن سؤاله لأبي تمام كان من قبيل إشعاره بمخالفته لعمود الشعر العربي ، وهـــو أمر واضح عند

أبي تمام ، وهذه قضية خارجة عن موضوعنا هذا ويمكن أن أفصِّل في موضـع آخـــــر القول فيها - إن شاء الله -(1) .
أقول : إن قضية الوضوح والمباشرة بحاجة إلى بيان حتى لا تظلَّ شبهة مثارة تنطلي على ناشئة الأدب في بلاد المسلمين فيظنون أن الوضوح والمباشرة عيبان مخلاّن بفنية الأدب ، ونحن نعلم أن التعميم في الأحكام النقدية كثيراً ما يكون سبباً في قتل الموضوعية ، وضياع الإنصاف في الحكم على الأديب ، أو على النص الأدبي(2) .
ولا بد من الإشارة إلى "الرمزية" عندما نتحدَّث عن قضية الوضوح والـمـبـاشــرة لأنها إنما طُرحت في شكل قضية أدبية ملحة بعد اجتياح موجة الغموض والإبهام لمساحـة كبيرة من النصوص الأدبية في العالم ، وكان ذلك الغموض المبهم نتيجة طبيعية للرمزية الـتي نادت بتغيير وظيفة اللغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة تشير إلى موضوعات غير معهودة تؤدي إلـى تغـيـير مقام الكلمات ومجرى الصياغة المألوفة.. ولذلك لا يستطيع القــارئ أو السامع أن يجد المعنى الواضح المعهود في الأدب(3) .
تحركت هذه الرمزية صوب المناطق المعتمة في النفس البشرية، وجرَّت معها نصوص الأدب إلى أدغال الرموز والأساطير والإشارات التي لا أثر فيها لضوء، ولا مـكــان فيها لشمس أو قمر أو نجوم ، ونشأت بتأثير الرمزية مدرسة الغموض والإبهام في الأدب العالمي ، وتبعه في ذلك - كما هي العادة - الأدب العربي ، وكان طبيعياً أن تعادي مـدرســـــة الغموض المولودة في أحضان الرمزية الوضوح والمباشرة عداءً عاماً لا مكان فيه للمناقشة الـمـوضوعية الهادئة ، وسرت لوثة الغموض والرمزية الغارقة في الإبهام في عدد غير قليل من نصـوص الأدب العربي المعاصر معتمدة على موجة الحداثة الفكرية التي نادت وما تزال بمعارضـة الـمـألــوف والخـروج عـلـيـه كـما هو شائع في كتابات أصحاب هذه الدعوة ، وهنا أصبح "الوضوح" في الأدب هدفاً من أهــداف دعاة الخروج عن المألوف يرمونه بسهام التشكيك ، ويشنعوه على الأدباء الذين يكتبون أدبـــاً واضحاً فيه مقومات الصياغة الفنية الرائعة من أسلوب متقن ، وصورة بديعة ، ومشاعر دفَّاقة مؤثرة .
ولعل من المصلحة هنا أن نحدِّد نقاطاً لتناول هذه الشبهة حتى لا يطول بنا المقام .
أولاً : نحن لا نقف ضد الرمز الموحي الـــذي يغلِّف الكلمة بغلاف رقيق تطالعك من ورائه فكرة الأديب ، والأدب الإسلامي يحترم الرمز المعبِّر وقدوته في ذلك القرآن الكريم ، ففيه عبارات وجمل ترمز إلى المعنى المراد ولا تصــرح به ، وكذلك في حديث رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ، وهناك فرق كبير يغفل عنه كثير من الناس ، بين الرمز الشعري الذي يستخدمه

الشاعر للدلالة على فكرة ما ، وبين الرمزية التي هي مذهب أدبي غربي .
ولذلك حصل الاضطراب عند بعض النقاد في قضية الوضوح والمباشرة .
ثانياً : الوضوح والمباشرة ليسا عيبين في الأدب بهذا الإطلاق الذي يرد في بعض الدراسات النقدية ، فهما ضرورتان ملحتان لكل أديب يريـــد أن يوصل مشاعره وأفكاره إلى الناس ، خاصة عندما يكون الأديب صاحب رسالة عظيمة في الأمة كما هو شان الأديب الإسلامي ، وإنما يعاب الوضوح ، وكذلك المباشرة ، عندما يطغيان على فنية العمل الأدبي فتصبح القصيدة كلمات وجملاً مصفوفة لا يربط بينها إلا الوزن الشعري وليس فيها روح الأدب ، ولا جمال تصويره ، ولا إيحاء عباراته . فعندما يقول شاعر مخاطباً شخصاً ما :

تعيش وتبقى ما حييت وتسلمُ

فإنه بهذا المطلع الخاوي الذي لا روح فيه يخرج مـن مـفـهـــــوم فنية الأدب ، والأدب الإسلامي لا يقر "فنياً" مثل هذه الكلمات الجافة الجامدة ، وهـــذا الجفاف والجمود لم يأت من قبل الوضوح والمباشرة كما قد يتخيل البعض ، وإنما أتى مـن قـبـل خواء المعنى وعدم نجاح الشاعر في نقل تجربة شعورية صادقة .
ولو كان الوضوح والمباشرة هو العيب، لألغينا مساحة شاسعة من الآداب العالمية، ومحوناها من خارطة الأدب ، وذلك ما لا يقول به ذو بصيرة . عندما يقول الشاعر الإسلامي محمد محمود الزبيري - رحمه الله -:

خرجنا من السجن شُمَّ الأنو ... ف كما تخرج الأَسْدُ من غابها
نـمـر عـلى شـفرات السيوفِ ... ونـأتـي الـمـنـيَّـة مـن بـابــهـا

فــإن في هذين البيتين وضـوحاً ومباشرة ، ولكنها شعر مؤثر ، وفيها تصوير فني جـمـيــل لـثـبـات الإنـسـان على مـبادئه التي يؤمن بها ، فالفنية هنا موجودة ولم تكن المباشرة أو الوضوح عيباً بالرغم من وجودهما هنا . وبهذه النظرة النقدية العادلة نستطيع أن نردَّ مثل هذه الشبهة الباطلة .
ثالثاً : الرمز الموحي مطلوب من النص الأدبي ، والأديب المقتدر هو الذي يحسن استخدام الرمــوز وتوظيفها ، سواء أكانت رموزاً تاريخية أم معاصرة ، وسواء أكانت بشرية أم غير بشريـــة بل إن الشاعر إذا استخدم رمزاً موحياً وأحسن توظيفه في النص الأدبي ، استطاع أن يؤثــر تأثيراً أعمق وأن يحقق للقارئ متعة أكبر ، وإنما يأتي الخلل عندما يصبح الرمز هدفاً ووسـيـلـــة لا يتنازل عنها الشاعر فإنه بهذا يخرج عن إطاره الصحيح ويتجاوز حدَّه المعقول .
رابعاً : الوضوح والمباشرة موجودان في كل نص أدبي يحمل فكرة وإنما تختلف النسبة من نـص إلـى نص، اللهم إلا عند الأدباء الذين يجعلون الرمزية غاية وهدفاً، ويـسـعـون إلـى الغموض والإبـهــام ولا يعـنـيـهـم أن يفهم القارئ ما يكتبون ، وإنما يعنيهم أن يتفنَّنوا في استخدام أساليب الرمزية الغامـضـــة ، وباستطاعة كل أديب مقتدر أن يستخدم التعابير اللغوية استخداماً مباشراً

ولكنه مـفـعـم بأثـر تجـــربته الشعورية التي تتناغم مع الإيقاع الشعري الذي يستخدمه ،أليس شعر المتنبي واضحاً ومباشراً ؟؟
بلى هو كذلك ، فلماذا أحبه الناس وما زالوا يحـبـونـه ؟؟ لماذا لم يكن وضوحه ومباشرته سببين في رفضه وحاجزين أمام إبداعه ؟؟ وغير المتنبي كثير .
ونخلص من هذا إلى القول بأن الوضوح والمباشرة ليسا مما يعوق العملية الفنية، وبأن الأدب الإسلامي لا يقف ضد الرمز الموحي ، ولا يقبل الجمود والجفاف في النص الأدبي ، وإنما ينظر إلى "الوضوح والمباشرة" بمنظار نقدي سليم .

الهوامش :

1- راجع كتاب "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" ، لشوقي ضيف ، ص 239 وما بعدها.
2- راجع كتاب "الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم" تأليف عبد الرحمن القاعود، فقد طرح القضية طرحاً مفصلاً .
3- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر للدكتور عبد الحميد جيدة ص 121 .

هدايا رابين

د. محمد وليد

طال الأسى وتـفـطَّـــــر القـلـبُ فإلامَ ذاكَ الـقـهـرُ يـــا ربُّ
المسلمون نفوسُـهــــم مُـلِـئـتْ كرباً وفي أوطانـهـم كَـــرْبُ
فإلى متى أمـوالـهـــم نَـهْـبُ وإلى متى أقداسُهم غَصـــبُ
لو كان قلبي قُدَّ مـن حـجـــرٍ لتَفَطرتْ أحجاره الصُلـــبْ
ومضى ينادي ربَّهُ جــزعــــاً حتام ذاكَ الـقـهـرُ يـــا ربُّ
وأتاه صوتٌ غاضب يـجــــب ملء السماء وكلُّـــه عَـتــبُ
ضلّت بكم أهواؤكم شِـيَـعــــاً وتفرقَ الحـادونَ والـرَّكـــبُ
إن الـســراجَ الـيــوم مُـتَّـقِـدٌ ما بالُه في أرضكـم.. يخـبـو
قد سادَ فيكم كلُّ طـاغـيـــةٍ وبكل صَرْحٍ شـامــخ ذئـبُ
قـهر البلاد وفيه قد جُـمـعِـتْ كلَّ العباد فَشخصُـهُ الشَّعـبُ
تحـيـا الحقيقة وهي بائـســة في أرضكم ويُجَمَّلُ الـكــذِبُ
أو تحـــسـبــون الـيـوم ويلكُمُ أنَّ الحقيقةَ مـالهـا ربُّ !!
الـخـيـرون اليوم قد قـُـتـلـوا في أرضكم وتفرق الـصَّحــبُ
والعابدون لربهم حُـشـــــروا ملء السجون ومـالـهم ذنـبُ
إلا محبتهم.. لـخـالـقـهـــم ولسانهم من ذكره رْطــــبُ
مدريدُ قد جمعت قـبـائـلـكـم وخطابهم في قصرها خَـطـبُ
يا ليت شعري ويح مؤتـمـــر أبطاله الأغـنـامُ والـذئـبُ

رابينُ يُهديكم.. بضاعَـتَـــــه حرباً هواناً بـعـدها حــربُ
ووفـودكـــم تأتيه طائـعـــــة وجلوسها بمقامه كـســـبُ
أتفلسفونَ الـذلَّ فـي سفـــهٍ كي لا يقالَ تشدَّد الـعُـرْبُ
يا أيها التاريخ.. مرحـمــــة داءِ الـمـذلـة مـالـهُ طِـبُّ
لا تعجبوا إن غاضَ ماؤكــمُ أو أُطفئت بسمائها الشُّهـبُ
سيُذلكُّم من كان ذا ضَـعَــــةٍ وسيحكم الخنزيـرُ والكـلبُ
وسيفدحُ الخطبُ الجليلُ بكم وسيعظم التقـتـيلُ والرُّعـبُ
ما كان ربُّ العرش يظلـمـكـم الظلم فيكم أيها الـعُـــرْبُ
سُننُ الإله اليومَ مـاضـيـــة فيكم إلى أن يرعوي القلـبُ
هلاّ رجعتم نحو بارئـكــــم حتى يعودَ إلـيـكـمُ الـربُّ

الحركـة العلميـة في بـلاد الحجـاز فـي العصـر الأمـوي (3)

د. محمد أمحزون

السيرة والمغازي :

لقد كان النزوع إلى جـمـــع المعارف وحفظها من الضياع متعدد الجوانب في صدر الإسلام، وبدأ في فترة كان فيها عدد كثير من الصحابة وكبار التابعين لا يزالون على قيد الحياة . وبـنـاء على بـعـض الأخـبـار سبق ذكرها يتضح لنا أن الصحابة والتابعين كان لديهم حس تاريخي ؛ فكانت المعارف والذكـريات تدوّن من الذاكرة على الورق ، حتى تبقى بعد وفاة مدوّنيها .

وقد استخدم الواقدي كتباً من تألـيـف بـعـض الـصحابة أسهمت إلى حد ما في رواية كتب المغازي . ومن هذه الكتب كتاب بخط مؤلفه الصحابـي سهل بن أبي حتمة الأنصاري توفي زمن معاوية بن أبي سفيان . وقد بقيت بعض المعلومات التي جمعها لدى حفيده محمد بن يحيى ، وعنه أخذ الواقدي بعض المغازي (1) . وتعطي المقتبسات منه صورة تكفي لإيضاح أن سهلاً قد اهتم في كتابه بغزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم-(2) .

وهناك قطعة من مصنف للصحابي العلاء بن الحضرمـي يـعـطـي مـثـلاً آخـر على أن بعض الـصـحـابة قد اعتادوا أن يسجلوا ذكرياتهم المهمة عن سيرة الرسول - صلى الله عـلـيـــه وسلم - (3) .

لكن كتب السيرة المختصة كتبت على وجه التحديد في جيل التابعين، حيث كان عدد من الصحابة موجودين ، فلم ينكروا على كتاب السيرة ، مما يدل على إقرارهم لما كتبوه. والصحابة على علم دقيق وواسع بالسيرة لأنهم عاشوا أحداثها وشاركـوا فـيـهـا ، وكانت محبتهم للرسول - صلى الله عليه

وسلم - وتعلقهم به ورغبتهم في اتباعه وأخذهـم بسنته في الأحكام سبباً في ذيوع أخبار السيرة ومذاكرتهم فيها وحفظهم لها؛ فهي التطبيق العملي لتعاليم الإسلام .
وجـديـر بالإشـــارة أن هذا التبكير في كتابة السيرة قلل إلى حد كبير من احتمال تعرضها للتحريف أو للمبالغة والتهويل أو للنسيان والضياع .
ومن أقدم من ألف من التابعين في السيرة والمغازي عروة بن الزبير (تـ سنة 14 هـ) وأبان بن عثمان بن عـفــان (تـ سنة 105 هـ) وشـرحـيـبـل بـن سعيد (تـ سنة 123 هـ) وابن شهاب الزهري (تـ سنة 124 هـ) وعاصم بن عمرو بن قتادة (تـ سنة 129 هـ) وموسى بن عقبة (تـ سنة 141 هـ) .
وكل هؤلاء من أهل المدينة ، وقد تأثروا برأي أهل المدينة الذي يغلب عليه طابع الحديث فمن الأمور الطبيعية نشوء علم السيرة في المدينة، إذ كـانـت الـمـكـان الــذي نصر الإسلام وحاطه ، فاكتسبت السيرة بذلك ثوباً مدنياً ، وطبعت بالطابع الذي تميز به أهل الحجاز وهو ميلهم إلى الحديث والرواية ، والتدقيق والمحافظة .
أما عروة بن الزبير بن العوام ، فيعدّ أحد فقهاء المدينة السبعة(4) .
انـصــرف بكليته إلـى الدراسة وإلى العناية بجمع حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والـبـحـث فـي سيرته ومغازيه حتى قال عنه الزهري : »رأيت عروة بحراً لا تكدّره الدّلاء«(5) .
روى عن علي وعائشة وأبي هريرة وأمثالهم ، وحدث عنه حبيب بن أبي ثابت وخالد بن أبي عمران قاضي أفريقيا وأبو الزناد والزهري وغيرهم(6) . وقد وصلت إلينا بعض كتبه في مؤلفات ابن اسحاق والواقدي والطبري،وهي من أقدم ما وصل إلينا مدوناً عن مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
وأما أبان بن عثمان ، فإنه وإن كان قد شارك في بعض الأحداث مثل وقعة الجمل ، وتولى إمارة المدينة في أيام عبد الملك بن مـــــروان(7) إلا أنه فضل الاشتغال بالعلم ، إذ يعد من فقهاء المدينة السبعة(8) ومن أقدم من ألـفــوا في المغازي والحديث(9) . لكن لم يقتبس منه من المؤرخين سوى اليعقوبي في تاريخه(10) .
ويشاركه في هذا الميل شرحبيل بن سعيد، وهـــــو أحــد المؤلفين والعلماء الأوائل في ميدان المغازي ، قال سفيان بن عيينه عنه : »لم يكن أحد أعلم بالبدريين منه«(11) . وكان شيخاً قديماً حدث عن زيد بن ثابت ومعظم الصحابة(12) .
وروى بالخصـوص عن أبيه سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي الذي كان له اهتمام بجمع الـمـعـلـومات التاريخية المتعلقة بالمغازي(13) . وقد بقيت بعض المعلومات التي جمعها في مسند الإمام أحمـد وتاريـخ الطبري(14) ، واعتمد ابنه شرحبيل عليها في كتاباته . فسار على سنة أسرته في التأليف في

المغازي ، إذ كان جدّه سعد بن عبادة الصحابي المشهور ذا مؤلف في السنن لا يزال معــروفاً في القرن الثالث الهجري(15) . وقد ذكر محمد بن طلحة الطويل أن شرحبيل أعدّ قوائم بـمــــن اشتركوا في غزوتي بدر وأحد ، لكن فيها شيء من المبالغة(16) .
ومن الرواد الأوائل في كـتـابة السيرة أيضاً عاصم بن عمر بن قتادة المدني ؛ روى عن بعض الـصـحـابـة مـثـل جـابـر وأنـس ، وحدث عنه بكير بن الأشجّ وابن عجلان وابن اسحاق وغيرهم(17) . وكان عالماً بالسيرة ، ثقة ، كثير الحديث(18) ، يعتمد عليه ابن اسحاق في كثير من مروياته(19) .
وقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يجلس في جامع دمشق فيحدث بمغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومناقب أصحابه(20) . ثم رجع إلى المدينة ، فلم يزل بها حتى توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة(21) .
ومـنـهـم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي يعدّ من كبار المحدثين في عصره ، وثقه جهابـذة عـلـماء الجرح والتعديل(22) ، وأثنى عليه الأئمة بالفهم وسعة العلم(23) . وهو أول من استخــدم طريقة جمع الأسانيد ليكتمل السياق وتتصل الأحاديث دون أن تقطعها الأسانيد(24). وكان صاحب دراسات في التاريخ الحديث والفقه، يكتب ما يسمعه ويجمعه من مشايخه؛ قـــال عـنـــه أبو الزناد: »كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع«(25) .
وكان حريصاً على الطلب، بصيراً بالعلوم حتى صار مرجع علماء الحجاز والشام . قال فيه الليث بن سعد: »ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري، يحدث في الترغيب فـتـقـــول: »لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حـدث عن القرآن والسنة فكذلك«(26) .
وبذلك تكونت من كتاباته وعلومه هذه مجموعات ضخمة دخلت قصور الخلفاء الأمويين . فـقـد أمـــر الخلـيفة هشام بن عبد الملك اثنين من كتابه بمرافقة الزهري فرافقاه سنة في مجالسه التي يحاضر فيها ، ثم أودع ذلك النقل خزانة هشام(27) . وحكي أنه حين قتل الوليد بن يزيـد (تـ سنة 126 هـ) حملت الدفاتر من خزانته على الدواب من علم الزهري (28) .
ومنهم موسى بن عقـبـة الأسدي مولى آل الزبير ، وهو محدث ثقة من تلاميذ الزهري(29) وقد أثنى الإمام مالك عـلـى كتابه في المغازي وقال أنه أصح المغازي(30) . وقال يحيى بن معين : »كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب«(31) .
عاش موسى بن عقبة فـي المدينة ، وكانت له في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلقة علم يمنح فيها كذلك إجازاته العلمية(32) . ويبدو أن البخاري قد أفاد من مغازيه في الصحيح(33) . واختصرها ابن عبد البر بعنوان:

"كـتـاب الـدرر فـي اخـتـصـار المغازي والسير"(34) . كما استخدمها الحافظ ابن حجر في كتابه "الإصابة"(35) .
هـــــؤلاء هم الرواد الأوائل في كتابة السيرة في المدينة المنورة موطنها الأصلي ، ويتضح من توثـيـق نـقـاد الـحديـث لـهـم ما تميزوا به من العدالة والضبط ، وهما شرطان عند العلماء لتوثيق الرواة . فلئن كانوا عُدِّلــــوا عند المحدثين رغم دقة شروطهم في التوثيق ، فإن هذا التوثيق يعطي كتاباتهم في السيرة قيمة علمية كبيرة .
ويعد ذلك دليلاً ساطعاً بأن الله تعالى حفظ سيرة نبيه - صلى الله عليه وسلم - من الضياع والتحريف والمبالغة ، بأن هيأ لها جهابذة المحدثين ليعنوا بها ويدونوا أصولها الأولى قبل أن تتناولها أقلام الإخباريين والقصاصين .

الهوامش :

1- الواقدي : المغازي ، ص ه 9،108، 197 .
2- انظر مثلاً الطبري: تاريخ الرسل، 1/1757.1609.1264. وابن سعد: المصدر السابق، 1/332 .
3- ابن حجر : الإصابة ، 2/1184 .
4- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1/399 .
5- ابن عساكر : المصدر السابق ، 11/284 ، والفسوي : المصدر السابق ، 1/552 .
6- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 4/421-435 .
7- ابن سعد: المصدر السابق 5/152 .
8- ابن حجر: تهذيب التهذيب ، 1/97 .
9- انظر مقال تسترسين ،دائرة المعارف الإسلامية ، 1/5 .
10- اليعقوبي : التاريخ ، 1/3 .
11- الذهبي : الكاشف ، 2/7 .
12- ابن حجر : تهذيب التهذيب ، 4/321 .
13- ابن حجر : المصدر نفسه ، 4/69 .
14- أحمد : المسند ، 5/222 ، والطبري : تاريخ الرسل 1/111 .
15- الترمذي : السنن ، 1/251 .
16- ابن حجر : تهذيب التهذيب ، 10/361 .
17- الذهبي : الكاشف ، 2/46-47 .
18- ابن سعد : المصدر السابق ، ص 128 (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) .
19- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 5/240 .
20- ابن سعد : المصدر السابق ، ص 128 (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) .

21- ابن سعد : المصدر نفسه ،ص 128 .
22- ابن معين : التاريخ ، 2/538 ، والدرامي : التاريخ ، ص 44-203 ، والعجلي : تاريخ الثقات، ص 412 .
23- الطبري: المنتخب- من ذيل المنديل، ص 97، والذهبي: سير أعلم النبلاء، 5/336.
24- اكرم ضياء العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة ، ص 40 .
25- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 5/329 .
26- الذهبي : المصدر نفسه ، 5/328 .
27- أبو نعيم : المصدر السابق ، 3/361 .
28- الدرامي: التاريخ ، ص 204 ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ، 10/360-361.
29- ابن حجر: تهذيب التهذيب ، 10/361 .
30- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 6/117 .
31- الذهبي : المصدر نفسه ، 6/117 .
32- انظر الجامع الصحيح : كتاب المغازي ، 5/44 .
33- سزكين : المرجع السابق ، 2/85 .
34- ابن حجر: الإصابة ، 3/1349 .
35- ابن حجر: تهذيب التهذيب ، 3/437 .

مشاهدات في بلاد البخاري (3)

د. يحيى اليحيى

مشاهد تسر المسلم :

لـقـد سـرنـي كـثيراً من أحوال تلك البلاد وما كنت لأتوقع ذلك أبداً ، وها أنذا أسجل أشياء مما رأيته ومما ينشرح له صدر المسلم :

* طهارة تلك البلاد مـن الـقـبـور المعظمة عندهم فلم نر مسجداً قط يطوف الناس حوله أو يتبركون به ، ولم أر مسجداً داخـلـه قـبـر ، وهذه نعمة كبيرة ومؤشر كبير لنشر التوحيد هناك .

* الناس عموماً على الفطرة وإن كان ظاهرهـم الإعـراض عن الإسلام ، فالمرأة المتبرجة لم تتعر عناداً أو عصياناً كالمرأة في البلاد العربية ، لا ولـكـن جـهــلاً منها فمتى عرفت شيئاً بادرت إلى تطبيقه ، وإذا دخلت المحلات التجارية - وكل البائـعــات فيها نساء - فإذا رأتنا المرأة استغربت الشكل : فسألت صاحبي : عربستان ؟ أي من العرب . قال نعم ومن المدينة النبوية فتشهق فرحاً وشوقاً إلى تلك الديار ، وتقديراً لنا تضع يـدهـا على

صدرها ، ثم تتنهد تنهداً عظيماً وتزفر زفرة قوية ، توضح شوقها وحبها إلى ديار الإسـلام وأهله .
ولقد سكنت في فندق في مدينة تشاوز من دولة تركمانستان، فلما علمت مسؤولة الفندق أننا من البلاد العربية طلبت منا مصحفاً وكان طلبها في نظرها من أشباه المستحيلات ، فأعطيتها مصحفاً ففرحت فرحاً شديداً أبكاها ووضعته عـلـى رأسـهــا ، ثم أخذت بتقبيله قائلة : أنا أملك مصحفاً ! ثم ذهبت إلى مكتبتها ووضعته في أعلى مكان منه متمنية سرعة انتهاء دوامها حتى تذهب به إلى بيتها .
فالناس هناك على الفطرة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها : حب للإسلام وحب للعرب خاصة ، لأنهم هم الذين حملوا الإسلام إليهم .
3- ترابط الأسرة ، وقيام المرأة بشأن بيتها ، وقوامة الرجل على أهل بيته ، فتجد البيت فيه الأب والأم والأولاد وزوجاتهم، والمرأة تقوم في شأن البيت كله : تطحن وتخبز وتطبخ وتنظف وتخيط الخ .
4- الكرم وحسن الضيافة ، أما كرمهـم فلم أر أحداً أكرم للضيف منهم مع الفرح والسرور والابتهاج ، فلا أتصور أحداً يذهب إلى تلك البلاد، وفيه خير ودين ، ويعلم به المسلمون، يدفـع شيئاً من جيبه لطعام أو شراب، وقد وصل الأمر إلى أننا أنكرنا عليهم بعض المبالغة في كرمهم .
فإذا دعاك أحــد إلـى بـيـتـه فلا تتصور أنك ستطرق الباب عليه ، فإن أهل البيت كلهم ينتظرونك عند الباب ، فإذا دخلـت البيت فمكانك أحسن المجالس ، ولا يجلسون حتى تجلس ، أما الطعام فمقدم لك قبل جلوسك ويأتيك الطعام من كل نوع ويقربون لك أحسنه وأطيبه ، أما غسل اليدين قبل الطعام وبعده فيأتيك وأنت جالس مع المنديل ، ولن تخرج من بيت الضيافة إلا ويهدون إليك شيئاً !
والقصص في كرمهم كثيرة وأجتزئ منها قصتين تدلان على كرمهم وحسن ضيافتهم :
الأولى : خرجنا من مدينة (طشقند) قرب الغروب وبعد مسيرة ثلاثين ميلاً غربت الشمس فقصدنا شخصاً يعرفه أحد المرافقين مـعـنا ففرح لقدومنا فرحاً شديداً ، وأدخلنا بيته على سرور منه وفرح ومـا هي إلا دقائق حتى قدم لنا الطعام، ومـــا زال يقـــدم لنا أنواعاً من الأطـعـمـة، فـمـــا استطعنا أن نوقف سيل الأطعمة إلا بالمناداة للصلاة، فلما أدينا الصلاة استأذنا في الخروج فبكى وطلب منا أن نبيت عنده، وقال: ما أكرمتكم ، ثم أخذ بإلحاح علينا علنا ننام عنده فلما علم إصرارنا على المسير، قال: متى ترجعون إلى طشقند، فقلنا: بعد عشرة أيام ، فلما قدمنا (طشقند) وجدناه واقفاً على باب الفندق صباحاً ، فحـاولــت الحديث معه، لـكـنـه لا يعــرف الـعـربـيـة وسمى لي شخصاً ممن يصحبوننا يريد مقابلته فدخلت الفندق وبحثت عنه ، فلم أجده

فـخـرجـت إلـيه وأخبرته وطلبت منه أن يدخل فأبى ، فدخلت الفندق ، وتصورت أنه سيذهب ولكنه بـقـي عـلى باب الفندق حتى جاء صاحبه بعد العصر ، فقال : لا بد من أن يزورني الضيوف الكرام ، فقال له : إن سفرهم صباحاً ولا يستطيعون ، فإذا معه بعض الهدايا من عسل مصفى - في إناء لا يقل وزنه عن خمسين كيلو غراماً - فأقنعه صاحبي أننا لا نستطيع حمله بسبب الجمارك وظننا أن الأمر انتهى إلى هذا ، وبعد صلاة العشاء نزلت من الفندق فإذا بصاحبنا على بابه، فـأدخـلـتـه غرفتي فبدأ يبكي : كيف نذهب ولم نزره ، ثم أعطاني لباساً من ألبستهم وشيئاً من العسل يبلغ اثنين كيلوجرام ، ولصاحبي مثل ذلك ، فحاولت إقناعه بعدم أخذها وأننا قد ربطنا أمتعتنا فبكى، فأخذتها مجاملة له ثم خرج مودعاً باكياً .

ولا تظن أخي الكــريم أن هذا الرجل يتصور أننا أكرم الناس ، لا فقد حج في العام الماضي ورأى من كرمنا أننا نبيع الماء للحجيج !!

الثانية : التقينا مـع بـعـض زملائنا من أهل الرياض في مدينة (طشقند) فتجاذبنا وإياهم أطراف الحديث فذكروا أن لنا بعض ما شاهدوه من كرم الناس فقالوا : وجدنا رجلاً يزيد عمره على الأربعين في (طشقند) فقال: أود أن تزورونا في قريتي ، فأمي منذ زمن تريد أن ترى أحداً من أهل مكة أو المدينة، قلنا كم تبعد قريتك عن (طشقند) قال قرابة ستمائة من الكيلومترات، فقلنا له: إن شاء الله سنزورك ، كعادتنا في كل من طلب منا الزيارة نسوف له، فإن حانت فرصة فعلنا، ولكن الرجل فهم منهم القبول فسافر إلى قريته ووصل إلى أمه ليلاً، وأخـبـرهــا الـخـبر، فأخذت تبكي من الفرح حتى الفجر وفي الصباح اشترت ضأناً بمبلغ ألفين روبل ، - راتب أستاذ الجامعة عندهم ألف روبل - وذبحته وطبخته ، فلما حان الظهر خرج كل أهــل الـقـريـة ومـعـهـم الأعـلام والرايات إلى ظاهر القرية لاستقبال الضـيـوف ومـعـهـم الـمرأة - فلما جاء العصر ولم يحضر الضيوف أمرت ولدها بأن يحضر طبيباً، خشية أن أحـداً منهم قد مرض ، ثم بقوا في انتظارهم حتى العشاء الآخرة ، فقال الرجل لأمه نرجع، فقالت: لا إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واعد رجلاً فجلس ينتظره ثلاثة أيام، وأنا سأنتظرهم سبعاً، وبـعـد الإلـحـاح عـلـيها خشية البرد رجعت إلى البيت على أن يسافر ابنها في طلب الضيوف، ولكن الضيوف سافروا إلى مدينة أخرى فهم في نظرهم لم يعقدوا موعداً معه ، فخرج الرجل يبحث عنهم حتى وجدهم فقال لهم : أين الموعد ؟ فقالوا : مستغربين ، وهل واعدناك، فلما أخبرهم بانتظار الناس لهم رجعوا معه، فوجدوا الناس في انتظارهم في ظاهر القرية ومعهم الرايات، قالوا:فلما رأونا رفعوا أصواتهم بالتكبير، وأسرعت المرأة وأكبت عليهم تريد تقبيل أيديهم، فابتعدوا عنها، ثم أكبت على أقدامهم تـقـبـلـهـا ، فلما دخلوا القرية وجدوا طريقهم قد فرش حتى البيت ، قالوا: فلما جلسنا على الطعام

والـعـجـوز قريباً منا وهي تبكي فرحاً حتى خشينا عليها من التشنج ، فلما أكلوا أحضرت لهم الماء بنـفـسـهـا للتغسيل ومعها المنديل وأبت أن يأخذه أحد منها ، قالوا: ثم ذهبنا إلى المسجد فإذا الناس مجتمعون فيه فأخذ الصغار بالتكبير والكبار بالبكاء عند مـرآنـا هذا والقصص في كرمهم كثيرة ، ولكن ذكرت هاتين القصتين للتدليل فقط .

الأدب الإسلامي وحسن الخلق :

شباب عاشوا في جو الإلحاد والضياع ولكن أدب الإسلام وأخلاقه باد عليهم، فالشاب مثلاً لا يمكن أن يمد رجليه بين يديك، بـل ولا يجـلـس مـتـربعاً، وإنما جلسته أمامك كجلسة التشهد ، أما إن طلبت منه أن يقرأ عليك شيئاً من القرآن، فاليدان على الفخذين، والرأس مطأطئ والبصر في حجره. لا يتقدم الصغير على الكبير ولا يتكلم الولد بـحـضـرة والده إلا بإذنه ، ولا يعمل الوالد مع وجود ولده ، يسود بينهم الإيثار والاحترام المتبادل، يرقبون حركتك بعين التقدير والاحترام ، فإن أردت القيام قاموا جميعاً ليقدموا لك ما تريد .

الصبر والجلد والغربة في طلب العمل :

وقـد ذكرت سابقاً شيئاً من صبرهم وجلدهم وتحملهم في طلب العلم وتحصيله ، ولقد زرت قرية (طبق سه) وهي تبعد عن طشقند قرابة ستين كيلومتراً ، فدخلت مدرسة فيها أكثر من سبعين طالباً أعمارهم ما بين الثانية عشرة إلى العشرين ، وكلهم غرباء ، قدموا من مسافات بعـيـدة لـلـتـعـلم ، وكانوا على مستوى متقارب من حيث الفهم والمقصد والأهداف ، تسود بينهم المحبة والإخوة والإيثار ، يخدمون أنفسهم فهم الذين يطبخون ويغسلون وينظفون . وقد قمت بـمـقـابـلـتـهـم واحــداً واحــداً، وكان منهم شاب عمره ست عشرة سنة قدم من سيبيريا، وهي تبعد عن مكان المدرسة أكثر من ألف كيلومتر، فقلت له : لماذا تركت أهلك وقدمت إلى هذا المكان؟ قال: لـطـلـب الدين!! فقلت له: متى تزور أهلك قال: في الصيف أذهب إلى الأهل .

سبحان الله شاب بهذا العمر ويعيش فـي جو الإلحاد والضلال ثم يتغرب مسافات شاسعة مفارقاً الأهل والخلان والوطن في طلب الـديــن . إن هذا المجتمع يحمل مقومات وخصال عظيمة ينبغي تنميتها وتربيتها وتوجيهها لخدمة الإسلام .

احترام وإجلال أهل العلم :

وهذه الخصلة الحميدة سائدة بين مختلف طـبـقـاتـهـم وعـلـى تفـاوت مستوياتهم في العلم والالتزام ، فإذا قدم عليهم طالب علم أو مرّ بهم احترموه وقدروه وأفسحوا له الطريق . ولقد وقفت في الشارع أطلب سيارة فتوقف لي صاحب سيارة خاصة في وسط الطريق وكاد أن يتسبب في وقوع حادث ، وقال لي : أنا موظف ذاهب إلى عملي ولـكـن لما رأيتك قلت هذا من

العلماء فوقفت لك !! وهذا الاحترام ليس خاصاً بالمدنيين فقط بل إنـنـي وجدت حتى من العسكريين المسلمين تقديراً واحتراماً يفقده كثير من الناس عندنا اليوم، فـمـــا تمر في نقطة تفتيش مثلاً إلا وتجد أول ما يبادرونك به تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ويعرضون عليك بإلحاح النزول عندهم .

خطة فانس - أوين لتقسيم البوسنة: نمـوذج ابتـلاع فلسطـين يتكـرر

د. علي عبد الرحمن عواض

عندما انطلقت الرصاصة الأولى في البوسنة معلنة بدء الحملة البشعة التي يشنها الصليبيون الصرب على مـسـلـمـي الـبـوسـنـة-الهرسك صرح الرئيس الصربي بأن "الجولة الثانية من معركة كوسوفو قد بدأت" ، مميطاً اللثام عن الأهداف الأصلية لحملة الإبادة التي يتعرض لها مسلمو البلقان . أخبار الجرائـم ملأت الصحف ، والتجاوزات فاقت كل حد ، وصور التهجير والاعتقال والتعذيب وانتـهـاك الأعراض دخلت كل منزل ، ومع هذا لم يستيقظ "الضمير العالمي" (إن كان هناك ما نسميه بالضمير العالمي) ولم تتحرك لها الغيرة الإسلامية إلا من رحم ربي.. ومن بين الركام ومــن خـــلال دخان المعارك تأتي مبادرة فانس -أوين الأوربية لتضع البصمات الأخيرة على هذه المسرحية المأساوية التي لامست قلب كل مسلم غيور وتطلبت من المجتمع الدولي - والأوربي خاصة - أن يتحرك "لإيجاد حل للمشكلة فكان اقتراح فانس - أوين" .

الحل الأوربي :

يدعو الجزء الأول من مشروع السلام (فانس -أوين) الأوربي إلى تقسيم جمهورية البوسنة-الهرسك على أساس الأرض والسلطة بين الـمـسـلـمـيـن والـكـــروات (الكاثوليك) والصرب (الأرثوذكس) بحيث يحصل :

* المسلمون والذين (كانوا) يشكلون أكثر من 45% من الـسـكـــان عـلــى 25% فقط من أرض الجمهورية والتي تضم 3 أقاليم صغيرة متفرقة .
* الصرب والذين هم 31% من السكان على 43% من الأرض في ثلاث أقـالـيـم كبيرة الجزء الأكبر منها محاذ لجمهوريتي صربيا والجبل الأسود ، والمقاطعة الأخرى الشاسعة محاذية للجزء الصربي المحتل من كرواتيا (المليشيات الصربية تسيطر على 30% من كرواتيا وتعتبر أراض صربية وقد أعلنوا فيها دولة كرواتيا الصربية العام الماضي .
* ويحصل الكروات (وهم 17 % من السكان) على حوالي 20% من أرض البوسنة ومعظمها في الهرسك (الجزء الجنوني الغربي للجمهورية) وجزء في شمال البلاد محاذ لـكـــرواتيا ، وذلك على شكل مقاطعتين .

* وتترك سراييفو والمناطق المحاذية لها (كمقاطعتين) مناطق ذات سيادة وسيطرة مشتركة.

موقف الأطراف :

بالرغم من الضغوط المتزايدة على حكومة البوسنة للقبول بخطة فانس -أوين (وصـلـت إلى حد تهديد قادة المسلمين بعقوبات يتخذها مجلس الأمن إذا لم يوافقوا على الخطة) فـقـد رفض المسلمون خطة التقسيم هذه . كما أن الصرب لم يوافقوا عليها فيما أسرع الكروات إلى توقيع الاتفاق في بنوده الثلاث .

المسلمون : أعلنوا أنهم لن يوافقوا على الخطة للأسباب التالية :

1- أنها تكافئ المعتدي وتزيد من محنة الضحية . فقد اقترحت الخطة أن تبقى سيطرة الصرب على جزء كبير من الأراضي التي احتلوها وأجلوا عنها سكانها وأصبحت تحت سـيـطـرتهـم وبهذا يكون من حصتهم في الخريطة مثل مناطق إسلامية كمدينة بريجيدور والتي تحدثـت وسـائـل الإعـــلام عن مجزرة أرقام ضحاياها وصلت إلى آلاف القتلى من المسلمين عندما احتلتها الـمـلـيشيات الصربية (التشتنك) كما تعطيهم مناطق ذات غالبية إسلامية ككلوج وسانسكي ، وهـــذه المناطق المحتلة يطالب القادة الـمسلمين بعودتها إلى مقاطعة بيهاك ليتسنى للمهجرين المسلمين العودة إليها فيما بعد..."قبولنا بهذا الأمر يعني أن لا أمل لمئات الآلاف من المسلمين بالعودة إلى بيوتهم" كما يقول الرئـيـس علي عـــزت بيكوفيتش .

2- أنها لا تتضمن الموقف الدولي والمحلي من التحكم في الأسلحة الثقيلة للصرب مما يعني استمرار التهديد والخطر .

3- أنها لا تعطي للأقليات حصصاً متساوية تتناسب مع نسبتهم العددية .

4- أن الخطة لا تحدد شكلاً متماسكاً للجمهورية ، حيث إنها تقترح تقسيماً لا يمكن معه إيجاد ترابط عملي بين مختلف الأطراف من جهة وبين مناطق المسلمين من جهة أخرى . مما يعني نهاية البوسنة-الهرسك كدولة .

الصرب : مــــع أن الخريطة تعطيهم معظم المناطق التي احتلوها ونسبة أعلى من نسبتهم العددية فـي الأرض إلا أنهم سـارعـــوا إلى رفضها ثم التراجع واقتراح إجراء استفتاء بين الصرب على الخريطة . وبهذا فهم يربحـــــون الـوقت الذي يحتاجون لتمكين سيطرتهم وإنهاء عملية الجلاء القسري لجميع السكان غير الـصـربيين بوســـــائل قمعية وإجرامية أصبحت معروفة لدى الجميع .

وقـــد وافـــــق الرئيس الصربي ميلوزفيتش على الخطة لأنها بهذا تعتبر الخطوة الأولي والأساسية من خـطـــــط تفكيك البوسنة وانهيارها وتحويل مسلميها إلى أقليات تعيش في مقاطعات صغيرة محدودة ضمن امتداد صربي واسع .

والأخطر من ذلك أن قـــادة الصرب أنفسهم أعلنوا جهاراً أن قبولهم لخطة فانس -أوين ليس نهائياً وأنهم سوف يستمرون في العمل لهدفهم الأكبر وأنهم لم ولن يتخلوا عن فكرة إقامة "صربيا الكبرى" وذلك بـضـــم الأراضي التي يسيطرون عليها في البوسنة وكرواتيا لأرض جمهورية يوغسلافيا (صربيا والجبل الأسود) . و "صربيا الكبرى" هي الدولة التي يطمح الصرب لإقامتها آملين أن تعيـد أمجاد الدولة الصربية الأرثوذكسية القديمة والتي دحرتها جيوش المجاهدين في دولة الخلافة العثمانية .
كما أن الصرب يرون أن عليهم الآن - وهـــــذا ما صرحوا به - تغيير تكتيك إنشاء هذه الدولة ، من العمل العسكري في الفترة الراهـنـــة لأسـبــاب استراتيجية تتمثل بالظروف الدولية المناهضة للصرب . ولعل كلمات الجزار الصربي كاراجيتش (زعيم صرب البوسنة) يختصر الموقف : "علينا أن نكتفي الآن بما يمكن تحقيقه مع خلق الشروط للحصول غداً على ما يصبح ممكناً" ، ويؤكد ذلك مستشاره في نفس المؤتمر الصحفي الذي عقد في جنيف بتاريخ 28/1/1993 والذي قال فيه:"إن الصرب بدأوا اتباع سياسة براغماتية دون التخلي عن أهدافهم الكبرى"(1) .
الكروات : وهم الرابح الأول من تقسيم البلاد . فقد وافقوا مباشرة على الخطة وخريطة التقسيم حيث إنها تعطيهم أكثر من 20% مــن الأراضي فـي جمهـورية البوسنة-الهرسك وذلك للأسباب التالية :
1- إنـهـــا تعطـيهـم أرضاً أكبر من نسبتهم السكانية ، وبهذا فالخطة تعوض كرواتيا عن الأراضي التي يحتلها الصرب في مقاطعة كرايينا في كرواتيا حيث يقيمون دولتهم الصربية عليها .
2- إنها تعطيهم مقاطعات محاذية لكرواتيا حيث إنها امتداد جغرافي لكرواتيا مما يعني سهولة ضمها لدولة كـــرواتـيـــا (الكبرى) . كما أن هذه المناطق كانت قد أعلنت من قبل الكروات دولة كرواتية ويتم فيها التعامل بالنقد الكرواتي .
3- يعتبر الكروات أن التقسيم الحالي يجعل من مناطق المسلمين حاجزاً طبيعياً جغرافياً-سكانياً بين الصرب والكروات في مناطق كثيرة . وبهذا يأمن الكروات مكر اعتداء صربي مفاجئ على أراضيهم .

ملاحظات على الخطة - الخريطة :

هناك عدة نقاط يتفق المراقبون على أن خطة فانس -أوين قد تميزت بها خاصة وأنها تمر عبر أروقة الأمم المتحدة :
- أنها سابقة في تاريخ الأمم الـمـتحدة أن توافق على تقسيم دولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة . لأن هذا يفتح الباب لسيل من المشاكل العالقة بين الدول .

- يقوم هذا التقسيم بتفكيك أراضي البوسنة-الهرسك فقط وتوزيعها على الأطراف الثلاثة دون النظر إطلاقاً إلى جذور المشكلة أو النظر في أوضاع الأقليات في الدول الأخرى لدول يوغسلافيا السابقة - خاصة المسلمين في صربيا - مما يعني أن سيناريو البوسنة-الهرسك سيتجدد في المناطق الأخرى إذا ما حاول مسلمو هذه المناطق رفع رؤوسهم والمطالبة بحقوقهم المشروعة وبالأخص مسلمو السنجق (والذي تتقاسمه كل من صربيا والجبل الأسود وهي مقاطعة ذات أغلبية إسلامية) وكوسوفو هذه المقاطعة الكبرى ذات الغالبية الإسلامية الساحقة (تصل إلى 92 % من السكان) والتي تعاني ظلماً وقمعاً صربياً شديداً وتطالب هذه المقاطعة بحق الحكم الذاتي . والصرب شديدو التمسك بهذه المقاطعة لأسباب استراتيجية وتاريخية وهم لا يرضون حتى بالحديث عن حقوق سكان كوسوفو ، ويرابط في المنطقة 120 ألف جندي صربي يقومون بفرض الأمر الواقع وسياسة الحكومة الصربية المركزية . يقول رئيس صربيا ميلوزوفيتش إن "كوسوفو هي قلب الصرب ، وإذا أراد الألبان (المسلمون) الأمان فعليهم أن يكفوا عن محاولات الانفصال ، ومن لا يريد العيش مع الصرب عليه أن يرحل عن كوسوفو"(2) .

وهذه السياسة ليست حكراً على قادة الصرب المتطرفين بل هي مسلَّمات القادة الصربيين جميعاً .. فمثلاً فوك دارسكوفك زعيم "حركة التجديد الصربي" والذي يعتبر معتدلاً وصديقاً للغرب صرح أنه "لن يتنازل أبداً عن كوسوفو" كما أنه : "لن يهمل إخوانه الصرب أصحاب الحق التاريخي داخل البوسنة وفي مقاطعة كرايينا في كرواتيا"(3) . وهذا يعني أنه حتى لو تغيرت السياسة الصربية الحالية فستكون بنفس الاتجاه من ناحية قضايا الأقليات المسلمة في صربيا . كما أن الخارطة تغطي - ولا تحل - مشاكل الأقليات الأخرى ضمن دول يوغسلافيا مما قد يؤدي إلى خلاف أوسع في حال انتقلت الشرارة إلى مناطق أخرى في المنطقة .

الموقف الأمريكي :

أما الموقف الذي يثير الانتباه فهو موقف الأمريكيين الذين أعلنوا "أنهم لن يرضوا بالخطة لأنها تكافئ المعتدي وتظلم الضحية وهم المسلمون" ، وهم "لن يوافقوا على خطة يرفضها أي من أطراف النزاع" .

فلماذا هذه الغيرة على حقوق المسلمين من أمريكا في الوقت الذي لم تكن استجابة "الأخوة المسلمين" على المستوى المطلوب .

إن الموقف الذي اتخذته الحكومة الأمريكية ظاهره فيه انحياز واضح للجانب البوسني ؛ وباطنه فيه المصلحة الأمريكية-الأوربية المغلفة بشتى الشعارات البراقة . فقد انتقدت إدارة الرئيس الأمريكي مبادرة فانس -أوين ووعدت بمبادرة أمريكية تكون أقرب إلى إرضاء الأطراف المتنازعة من الخطة

الأوربية . أمريكا بمعارضتها للخطة تقف فـي وجه الإجماع الأوربي متمثلاً بموافقة فرنسا ، ألمانيا وبريطانيا على الخطة ، كما أنها تعارض الحليف التاريخي والأول لصربيا وهي روسيا (الأخ التاريخي العقائدي للصرب الأرثوذكس) والتي صرحت بأنها لن ترضى بأي تدخل عسكري ضد صربيا ، وستعمل على تخفيف أو إزالة العقوبات عن صربيا . كما أنها تواجه الأمم المتحدة التي استحسنت الخطة ووافقت عليها .

فلماذا يقف الأمريكيون بقوة في هذه المرة مع "الحق الإسلامي" وفي هذه المرحلة ؟!

يرى المراقبون أن دول الغرب تلعب الدور الذي طالما برعت فيه في التعامل مــع قـضـايــا المسلمين ، فتتوزع الأدوار بين الأقطاب الكبرى الثلاثة بريطانيا ، فرنسا وأمريكا . فعندما تـوافـــق الأولى وتتمهل الثانية وتعارض الثالثة تكون مرجعية المسلمين لإحدى هذه الدول الثلاث ، وآمالهم لا تتجاوز ما توافق عليه إحدى هذه الدول ، كما هو حاصل الآن حيث أن "الأمــل" البوسني الوحيد هو في "العناد" الأمريكي وموقفه "الحازم" من قضية "مكافأة المعتدي" .

وهـــــذا النموذج رأيناه واضحاً في قضية المفاوضات العربية-الإسرائيلية حيث كانت هذه الدول تـتـبـادل الأدوار في "التحدث إلى المنظمة" أو "الأرض مقابل السلام"..

ويبقى السؤل المطروح : ما هي مصلحة الأمريكيين في الإبقاء على البوسنة وبالمقدار الممكن كدولة متماسكة.

الاحتمال الأول:وهو البعد الاستراتيجي لسياسة "موقع القدم" الذي تمارسه الدول الكبرى من خلال الدول الـصـغــرى في مختلف مناطق العالم ، فالمعروف تاريخياً أن الكروات هم "أذناب" الألمان في مـنـطـقـــة البلقان وصديقهم التاريخي ، وهذا ما يفسر الموقف الألماني المتشدد مطلع عام 1992 للاعـتـراف بكرواتيا ، "وفرض" الاعتراف بها على بقية الدول الأوربية ، وروسيا لا تجد لها مـنــافـســـاً في صربيا والتي تأخذ معظم دعمها العسكري الاقتصادي.. والسياسي منها(حتى أن التلفزيون الصربي عرض إلى جانب مئات المتطوعين الروس الذين جاؤوا للقتال إلـى جانب الصرب ، 4 جنرالات من الجيش الروسي يقومون بتنسيق العمليات العسكرية في الـبــوسـنة والهرسك وكرواتيا) . لذا تجد الولايات المتحدة نفسها أمام خيار واحد في المنطقة وهو دعم الجانب البوسني .

الاحتمال الآخر : وهو لا يتعارض مع الاحتمال الأول ، وهو أن الأمريكيين يريدون دائماً أن يظهروا بمظهر رجل السلام المحب للخير الذي يساعد الضعيف والمغلوب على أمره - وهم هنا البوسنيون - كما أن في ذلك تحقـيقـــاً جزئياً لمئات الوعود البراقة التي تخللتها حملة الرئيس كلنتون

الانتخابية بأنه سيتحرك لإنقاذ "المظلومين" في البوسنة إذا ما وصل إلى سدة الرئاسة .
جانب آخر من المعادلة هو أن الأمريكيين عـنـدمــا يُقربون منهم "الحكومة البوسنية" فهم بهذا يتعاملون مع "الشرعية البوسنية" . الأمـــر الـــذي تهتم به دائماً الإدارة الأمريكية لتسهيل تمرير ما تريده من قرارات في الأمم الـمتحدة ومجلس الأمن (وإن كانت أمريكا لا تصاب بوجع رأس عندما تقرر تمرير قرارات ما في هذه المجالس) .
إلا أن الحل الأمريكي القادم سوف يأخذ بعين الاعتبار التالي :
- إرادة وقرار السوق الأوربية المشتركة ، حـيــث إن "يوغسلافيا" تبقى دولة أوربية وأية نتائج للصراع فيها يظهر تأثيره المباشر في أوربا ، خاصة وأنها تحد دولاً أعضاء دائمين في مجلس الأمن (فرنسا) .
- الإرادة الروسية والتي تحاول أن تكشر عن أنـيـابـهــا في الفترة الأخيرة خاصة بعد أن خاب ظنها بالمساعدات الأمريكية لتحسين الاقتصاد الـروسي . كما أنها "غير راضية عن التفرد بالقرارات العسكرية الأمريكية في كثير من مناطق العالم" كما صرح وزير خارجيتها
- الواقع العسكري على الأرض والذي لا يصب في مصلحة "الشرعية البوسنية" في الوقت الحاضر .
- الحيلولة دون قيام دولة إسلامية / أو لنقل ذات غالبية يمكنها أن تتخذ قراراً يساهم في صنع القرار الإسلامي الدولي خاصة وأن بوادر الصحـــوة الإسلامية في العالم أخذت تظهر بين مسلمي الأقليات في مناطق أوربا الشرقية . هذا الأمر حذر منه القادة الأوربيون : "لن أسمح بقيام دولة أصولية إسلامية في أوربا"(4) ، و "أحــــذر أوربــا والعالم من طموحات الأصولية الإسلامية في البوسنة"(5) .
- البقاء على فرضية أن الحل يجب أن يكون أمريكياً وأن القرار الـــذي لا تـوافــــق عليه الإدارة الأمريكية لن يكون سارياً .
وقد ساهمت الصحف والإعلام الأمريكي في حملة الإدارة الامريكية على خطة فانـــس -أوين ووصفها بـ"السطحية" و "الغباء".. وما إلى هناك من عبارات الحط منها . وقد أسماها أحد مساعدي كلنتون: أنها "قد صيغت بعقلية الإمبريالية البريطانية القديمة، وأن تقسيم الهند وفلسطين وأفريقيا تعود للذاكرة عند قراءة مقترحات المستر أوين"(6) .

كلمة أخيرة :

والواضح أن الخريـطـــة الأوربـيـــة (الجديدة) للبوسنة لا تحل المشكلة بل تؤجل الجولة الثانية منها ، وكما يقول المراقبون فـــــإن "الفيدرالية اليوغسلافية القديمة كانت أشبه ما تكون بمجسم يختصر التكوين الفسيفسائي لمنطقة البلقان بأسرها . وبدورها كانت جمهورية البوسنة-

الهرسك مجسماً صغيراً يختصر كـــل ما في يوغسلافيا من تعددية أثنية ومشاكل سياسية واجتماعية وعرقية . فالبوسنة تختزل الإشكالية البلقانية بوجوهها المتعددة . والصراع الدائر حالياً على أرضها هو بمثابة -مختبر للمنطقة كلها وفي ضوء النتائج التي سيتمخض عنها سيتحدد مصير عدد من بؤر التوتر الكائنة في يوغسلافيا وغيرها من دول المنطقة"(7) .

إن أي نجاح فـي فــــرض أي خريطة جديدة للبوسنة تقوم على تقسيمها مكافاة الصرب وتكريس اعتداءاتهم وحرمان المستضعف من حقوقه التاريخية ؛ سوف يغري ويشجع على إشعال حروب وخلق مناطق نزاع جديدة في أماكن متعددة من أوربا - وغيرها - قد تتطور إلى جزء يتدخل فيه أكثر من بلد في هذا الصراع خاصة إذا كانت المعارك بين دول أقوى وصاحبة ارتباطات وتحالفات أوسع . والمناطق المرشحة لذلك أكثر من أن تحصى خاصة في منطقة البلقان .

يبدو أن المسلمين في الـبــوسنة بدأوا يستوعبون ضراوة المحن والمؤامرات الدولية والغربية عليهم ، يدركون أن المقاومة المسلحة والحسم العسكري القوي كفيل بترجيح الكفة وإخلال الموازين لصالحهم وإثبات الـهـويـــة الإسلامية ليس كأقلية عرقية ولكن كدولة ذات كيان وهوية إسلامية على الرغم من مؤامرات الصليبين الحاقدة .

وفي هذا الإطار ظهرت المعارك الأخيرة في شرق البوسنة وعلى المناطق الحدودية مع الصرب بالقرب من نهر ديرنا (الفاصل بين البــوسنــــة وصربيا) حيث حققت القـوات الإسلامية نجاحاً ملحوظاً وتكبدت القوات الصربية خـسـائـــر كبيرة في الرجال والعتـاد اعترفت به إذاعاتهم . وكانت أشد المعارك ضراوة تلك التي شـهـدتـهــا منطقة شيلات الحـدودية مع صربيا . كما أن منطقة سد بروكاي الذي تسيطر عليه الـقــوات الإسلامية وتهـدد بتفجيره مما يهدد نصف المناطق الصربية بالزوال .

من البوسنة إلى فلسطين

أوردت وكالات الأنباء والصحف الـعـالمية خبر وصول حـوالـي مئة لاجئ بوسني مسلم إلى فلسطين المحتلة نهار الأربعاء 17/2/1993 فـي محاولة من السلطات الإسرائيلية لتحسين صورتها أمام المجتمع الدولي .

الهوامش :

1- الشعب 29/1/1993 .
2- الحياة 12/2/1993 .
3- الاندبندنت 12/2/1993 .
4- ميتران عند زيارته لمطار سراييفو .
5- تودجمان (الرئيس الكرواتي) 24/1/1993 .
6- الاندبندنت 10/2/1993 .

7- محمد خليفة ، أزمة البلقان وصراع البوسنة ، الحياة5 25/1/1993 .

@التطورات الأخيرة في الفلبين

د. مالك الأحمد

رغم البعد الجغرافي للفلبين عـن البلاد العربية ، فإن دخول الإسلام فيها قديـم ، وله عدة قرون عن طريق التجار والدعاة الـمـسـلـمين ، ومنذ دخول الأسبان للجزيـرة فإنهم ما فتئوا يحاولون طمس الوجود الإسلامي في تلك الجزر فضلاً عن تنصير شعوبها، وورث الأمريكان الـمـنـطقة حيث ضموا قسراً مناطق المسلمين إلى الدولة النصرانية الوليدة وتـعـاقـبـت عـلـى الـمـسـلـمـيـن حـكـومـات الظـلـم والاضطهاد ، ثم محاولات الإبادة الكاملة في عهد المجرم ماركوس، نـشـــأت على أثر ذلك منظمتان للمقاومة الأولى هي جبهة تحرير مورو الوطنية برئاسة نور مـسـواري ، والثانية جـبـهــة تحـريـر مورو الإسلامية برئاسة سلامات هاشم، والأولـى ذات توجـــه وطني علماني والثانية إسلامية التوجه (انشقت عن الأولى إثر تغير توجهاتها)، تلا ذلك مفاوضات بين الأولى وحكومة ماركوس على أساس إعطاء حكم ذاتي للمسلمين في مناطقهم ، ورغم ذلك لم يلتزم ماركوس بها واستمرت حركة الجهاد في عهد أكينو التي أعـطـت الـمـسـلـمين الكثير من الوعود دون تنفيذ شيء منها ، وهي وإن قابلت الكثير من المشكلات أثناء حكمها فإن المسلمين لم يسلموا من أذى جيشها وتحرشاته بهم .

وأخيراً اعتلى الحكم رامـــوس والذي ترقى في عهد ماركوس من قائد للشرطة العسكرية ، فنائب لرئيس الأركان ، فـوزيـــر للدفاع ، وهو الذي حمى أكينو ونظامها من السقوط أمام حركات التمرد من بعض قطاعات الجـيـش فـــوثقت به ودعمته في الانتخابات . وهو ذو تاريخ قذر مع المسلمين فهو الذي أنشأ منظمة "إيـلاجــا" الإرهابية في عام 1970 م والتي قامت بأبشع المجازر ضد المسلمين وقامت بإتلاف المزارع وتدمير البيوت والمساجد وتشريد الكثير من المسلمين من مناطقهم وتوطين النصارى مكانهم ، ثم شارك الجيش عندما تحرك المسلمون لحماية أنفسهم واشترك في عمليات إبادة كاملة للمسلمين بتوجيهات من ماركوس ووزير دفاعه راموس.

التطورات الأخيرة :

تتطور الأحداث بشكل سريع في الأشهر الأخيرة بعد تـسـلـم راموس الحكم ، والذي نجح بفضل الدعم الأمريكي على وجه الخصوص ، ويظهر أن من أولوياته القضاء على الوجود الإسلامي في الفلبين وتظهر بوادره في التالي :

- الحرص على إحياء منظمة إيلاجا الإرهابية والتي تـسـربــت أنباؤها فضلاً عن تسليح النصارى القاطنين في مناطق المسلمين .

- الحشود العسكرية المتوالية والأنباء تذكر حشد ما يقارب الـمـائــة ألف جندي بآلياتهم الثقيلة لمواجهة المسلمين المجاهدين في الجنوب ، إضافة للغارات الجوية على مركز قاعدة المجاهدين (قاعدة أبي بكر الصديق) مع الاستعداد لحصار عسكري اقتصادي على مناطق المجاهدين وبدأ فعلياً حصار بعض القواعد للمجاهدين .
- توحيد صف الحكومة وتوجيه عدائها للمسلمين ، بدأ راموس بالعفو عن جميع الجنود الذين شاركوا في تمردات سابقة ضد الحكومة ، وتوثيق الصلة بالـمـعـارضـيـن والاستعداد للاعتراف بالشيوعيين كحزب رسمي في البلاد في حال إلقائهم السلاح .
- الحرب الإعلامية ضد المجاهدين ، حيث التعتيم الإعلامي على عملياتهم من جهة ، وتشويه صورتهم من جهة أخرى واتهامهم بالإرهاب والتعامل مع بلدان خارجية ، فضلاً عن الحرب النفسية بالتخيير بين العفو العام (الاستسلام) أو الحرب الشرسة ، ومحاولة استرضاء مسواري والتفاوض معه لشق صف المسلمين وإضعاف كلمتهم .
- الاستعداد لعمليات مستقبلية عن طريق تهيئة القوات الخاصة لعمليات مـتـقـدمـــة ضد المجاهدين مستعيناً بخبرات اليهود الذين جاؤوا كخبراء في مكافحة الإرهاب .
- مراقبة الجمعيات والشخصيات الإسلامية،والتضييق عليهم وتجنيد المرتزقة والجواسيس للعمليات الدنيئة ضدهم .
وهذه التطورات تنبئ بخطة خبيثة للقضاء على الـمـجـاهـديـن مـــن جبهة تحرير مورو الإسلامية والقضاء على الوجود الإسلامي في المنطقة أسوة بما يحدث لـلـمـسـلـمين في ديار أخرى كالبوسنة والهرسك ، وقد آن الأوان ليدرك المسلمون هذه العداوة من النصارى فضلاً عن اليهود ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) .
والمسلمون اليوم في الفلبين تحت قيادة جبهة تحرير مورو الإسلامية في حاجة مـاســـــة للمساعدة "ومن جهز غازياً فقد غزا" ، وهم على ثغرة هامة وجهودهم ملموسة ، فقد أسلم آلاف الـوثـنـيـيـن على أيديهم ، ولهم جهود طيبة في التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط المـسـلـمـيـن فضلاً عن هدفهم الأساسي في إقامة الحكم الإسلامي عن طريق الجهاد في سبيل الله .

@المسلمون في أوربا

المسلمون في »ويلز« بين الأمس واليوم

ب.م. ناصر

يرمز ميناء كرديف في ويلز إلى فترة ذهـبية تاريخها كان ينبض خلالها بالنشاط والحركة ، وقد لفت انتباهي في أحد الأيام جماعة مــن الرجال يشقون طريقهم نحو منطقة الشحن في الميناء وعلى رؤوسهم طاقيات بيضاء مزركشة ، توجهت نحوهم ، بدأتهم بالسلام ، فردوا علي التحية، وعرفت من الحديث إليهم أنهم من اليمن، وأنهم جاءوا إلى ويلز بعد الحرب العالمية الثانية، فـاسـتـثـار ذلك فيّ رغبة شديدة للتحري عن وجود المسلمين في ويلز عموماً وكارديف خاصة باعتبار أنها تحتوي أكبر تجمع للمسلمين .

نبذة عن بلاد الغال »ويلز« :

تشكل ويـلــز حوالي ثمن مساحة المملكة المتحدة ويصل عدد سكانها حسب إحصائيات عام 1990 إلى ثلاثـــة ملايين . ويعتمد السكان عموماً على الزراعة في المناطق الداخلية والصيد البحري والتجـــارة على ضفـــاف المناطق الساحلية . وأهم الصناعات المنتشرة في ويلز هي الصناعات الميكانـيـكـيـة من سـيـارات وغيرها ، وصناعات الكترونية ، وصناعات الحديد والصلب.. وتدر الصناعـــة على الإقـلـيـم أربـاحــاً طائلة خاصة بعد تركز عدد كبير من الشركات اليابانية في المنطقة .

نبذة تاريخية عن المسلمين في ويلز :

مع دخول العقد الثاني للقرن العشرين بدأ وصــول الأعداد الأولى من المسلمين من موطنهم الأصلي اليمن كبحارة في الأسطول الملكي البريطاني ، ثم توالى مجيئهم بأعداد غفيرة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية . وقد رافق دخــول اليمنيين إلى بريطانيا عموماً وموانئ ويلز خصوصاً الهجرات الأولى من الصومال في الثلاثـينيات من القرن الجاري .

وبعد الحرب العالمية الثانية توافدت إلى بريطانيا أعــداد غفيرة من المسلمين الباكستانيـيـن والهـنـود والبنغاليين حتى أصبحوا في مطلع الستينيات يعادلـــون مع الجالية اليمينة ثــم تجاوزوها مع انتهاء السبعينيات .

يبلغ عدد المسلمين في ويلز ما يقارب على اثني عشر ألف نسـمــة أكثر من 70% مـنـهـم في مدينة كارديف ، ويتوزع الباقي على مدن نيوبورت بنسبة حوالي 15% ، وسوانـزي 10% ، ويتوزع الباقي على مدن ويلز الأخرى..

ويتوزع المسلمون في مديـنـــة كارديف في المناطق الداخلية ويشكل المسلمون الباكستانيون والبنغاليون ما يقرب من 55% ، واليمـنـيـون حوالي 35% ، والصوماليون حوالي 7% ، كما يوجد عدد لا بأس به من الطلبة المسلمين من المملكة العربية السعودية وماليزيا وليبيا .

أهم المرافق والمؤسسات الدينية :

يوجد في ويلز ما يزيد عن 15 مسجداً ، عشرة منها في مدينة كارديـــف ، منها مسجدان للطلبة ، ومسجدان لجماعة التبليغ ، ومسجدان للبنغاليين ، ومسجـــد للطائفة البهائية المنحرفة ، وآخر للقاديانية ، ومسجد لليمنيين

ومسجد آخر هو من أقدم المساجد في ويلز وثاني مسجد في بريطانيا وهو تحت الترميم . وفي مدينة نيوبورت يوجد مـسـجــد لأهل السنة وآخر للشيعة ، وكذلك في مدينة سوانزي يوجد مسجد لأهل السنة وآخر للشيعة . ويرجع أول مسجد من حيث النشأة إلى زاوية على الطريقة الصوفية أنشأها اليمـنـيـــون الأوائل لدى وصولهم إلى بريطانيا يمارسون فيها شعائرهم التعبدية ونمو وتزايد الحاجة تم إنشاء مسجد جامع هو أول مسجد في ويلز والثاني في بريطانيا وذلك عام 1931 ، وعندما قــدم الباكستانيون والبنغاليون أنشؤوا بدورهم مساجد صغيرة في مختلف مناطق ويلز التي تركزوا بها .

الإمكانيات الاقتصادية للمسلمين في ويلز :

إذا تتبعنا الأصول العرقية التي جاء منها المسلمون في ويلز أمكننا أن نعدد مصادر الحياة الاقتصادية التي يرتزقون منها ، فمنذ بدايات القرن الجاري كان المسلمون الأوائل الذين استقــروا بمدينة كارديف وغيرها يمتهنون إما الصيد البحري ، أو العمل على متن سفن الأسطول التجاري البريطاني ، مع وجود أقليات قليلة كانت تعمل في المناجم .

أما بعــد الـحـــــرب العالمية الثانية فقد توافد المسلمون الباكستانيون والبنغاليون والهنود وغيرهم واستقر هؤلاء في المدن الكبرى ، حيث اشتغل أغلبهم في مصانع النسيج والحديد والصلب ومناجم الفحم التي كانت تشتهر بها ويلز كبعض المدن البريطانية الأخرى .

وقد عرفت فترة الـسـتـيـنـيـات والسبعينيات في بريطانيا عموماً اتجاهاً حكومياً قوياً نحو التخلص أو الـتـقـلـيـل مـــــن خطر مراكز الصناعة الكبرى التي تعتبر معاقل للاتحادات النقابية، شمل ذلك الاتجاه مناجم الـفـحـم وصناعات الحديد والصلب والمرافئ البحرية، وعـلـى أثــر ذلك وجد الـكـثـيـر من المسلمين أنفسهم بدون عمل ، وكان عليهم أن يجدوا مخرجاً لأنفسهم وإيجاد مصادر جديدة للرزق . وبذلك تنوعت اتجاهات المسلمين في هذا الشأن ، حيث نجد أن المسلمين الباكستانيين اتجهوا نحو الاتجار في العقارات والبيوت ، أو تسيير معاملات البقالة، ثم اتجه نشاط كثير منهم فأصبحوا يمتلكون الكثير من محلات الاتجار بالجملة .

أما المسلمون البنغاليون فقد تركز نشاط أغلـبهم في فتح مطاعم عبر أنحاء ويلز خاصة المدن الكبرى ككارديف ونيوبــورت وسـوانــزي.. حيث لا تكاد شوارع كارديف مثلاً تخلو من مطعمين أو أكثر من مطاعم البنغاليين ، أمــا الجالية اليمنية والصومالية فقد بقي أغلبهم يعتمدون على ما يقدمه الضمان الاجتماعي مـع استثناءات هنا وهناك ، واحتفظ بعضهم بمناصبهم في الموانئ ، أما البعض الآخر فـيـعـمـل إما في مصالح البلدية المختلفة أو قطاع الخدمات العامة .

الأنشطة الثقافية التي تقوم بها المساجد والمراكز الإسلامية :

على الرغم من حالة المسلمين الاقتصادية في ويلز إلا أنهم ساهموا في شراء وبناء المساجد . فقبل عام 1980 لم يكن هناك سوى أربعة أو خـمـسـة مساجد ، ارتفع هذا العدد خلال اثنتا عشرة سنة إلى حوالي عشرة مساجد أو أكثر وهذا في مدينة كارديف فقط .

والدور الذي تقوم به بعض المراكز الإسلامية ينحصر أساسـاً في تنظيم الحلقات والدروس العلمية أسبوعياً ، وبعض المحاضرات الشهرية التي تتنـاول قضايا ومواضيع شرعية ، أو لتوعية المسلمين بواقعهم في مختلف أنحاء العالم زيادة عـلـى بـعـض الـرحــلات الثقافية والرياضية التي تنظم بين الفينة والأخرى، وإذا أردنـــا أن نتحدث بصراحة أكـثـر فـإن أغلب الجالية المسلمة في ويلز عموماً وكارديف خاصة لم يجدوا من يوجههم ويحرك نوازع الخير في أنفسهم، وأن يـجـنــدوا نحو نشاط أفضل مما هم فـيـه من الخمول ، نستثني من ذلـك الـجـهـــد الذي يقوم به الإخوة الصوماليون كتكملة للجـهـود التي يقوم بها الطلاب المبتعثون للدراسة .

وضعية التعليم والتربية الإسلامية :

كما ذكرنا فإن الجالية الإسلامـيــة بشكل عام تعيش في حالة جهل وعدم اكتراث ولذلك أهملوا تربية أبنائهم وقد قال لي أحـــد الشيوخ اليمنيين المسنين إن عدداً كبيراً من أبناء المسلمين المولودين في هذه البلاد ضاعوا فـي غمرة ودوامة الحضارة الغربية ، وقطعت كل الأواصر والروابط التي تربط بينهم وبين الثقافة الإسلامية .

وإذا علمنا أن نسبة نمو المسلمين السكاني يبلغ حوالي 4.5% سنوياً وهي نسبة عالية جداً ومع مطلع سنة 2000 سيزيد عدد سكان الـمسلمين في ويلز إذا استمر على معدله الحالي بحوالي 5000 نسمة وأن نسبة الشباب ما بـيـن 18-21 سنة تصل إلى 40% ، وهو يثير علامة استفهام كبيرة حول تربية هؤلاء تربية إسلامية ، وتعليمها تعليماً إسلامياً يحول بينهم والانجراف وراء مغريات الحياة الغربية ، بل وتجعل منهم نماذج حية عن التربية الإسلامية الصحيحة القويمة .

الشيء الموجود في الوقت الحالي هي مدراس تعلـيم قراءة القرآن الكريم ، ولكن أي تعليم ، ومن يعلم من ؟ إن هذه المدارس تقليدية في كـــل شيء وجامدة لا تريد تحديث أساليبها ، والتعليم الذي تقدمه تجعل الشاب فيها يقرأ القرآن الكريم لا يفهم منه حرفاً ، وكأن هؤلاء لم يمروا أبداً بقوله تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلـذِّكْـــرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) ، غير أنه هناك محاولات مشاريع لعلها بواكير خير في هذا الشأن ونذكـــر مـنهـــا مؤسسة أمانة

التربية والتعليم لجنوب ويلز التي أنشئت في الآونة الأخيرة ، وتنوي فتح مدارس دائمة للأطفال متى سمحت بذلك الإمكانات المالية والتأهيل التربوي .
إن وجــود مؤسسة تتولى تعليم أبناء المسلمين في ويلز أمر لا بد منه وإلا فاتنا الأمر قبل أن نتداركه، ويضيع أبناء المسلمين وهم في غياهب المدارس والمؤسسات التعليمية الإنجليزية ، التي تسعى إلى تنصيرهم أو تلحيدهم كما فعلت بالكثيرين .

واقع الدعوة الإسلامية :

إن الجهد الدعوي في أوساط غير المسلمين يكاد يكون منعدماً ، عدا بعض المحاولات التي لا تزال في البداية من قبل أحد المراكز الإسلامية ، وهي على ندرتها لا تلبي الطلب ولا تعفي الجمـيـع من تحمل أعباء المسؤولية مع أن المسلمين هم أحوج الناس إلى الدعوة قبل غيرهم ، إنهـــم في حاجة إلى أن تعمق صلتهم بالإسلام ، وأن يفهموه كما فهمه السلف الصالح -عليهم رضوان الله- ، وهم في حاجة قبل ذلك إلى أن يتعلموا الإسلام كما يتعلم الصبيان القراءة والكتاب والحساب ، وليس هذا بالعجيب لمن عرف المستوى الذي وصل إليه المسلمون..
غير أن هذا لا يـجـــب أن يــؤول بنا إلى اليأس ، بل أن نعقد النية على العمل لإصلاح المسلمين وتفقيههم بعون الله ، ودعوة أهل هذه البلاد ولعلنا نقصر خلاصة ذلك في النقاط التالية :

1- العمل على إيجاد مؤسسة تـتـكـفـل بالنشـاط الدعوي وتضع لذلك خطة دقيقة تشمل الجاليات المسلمة وغير المسلمين من أهل هذه البلاد .
2- السعي نحو إعداد الدعاة المؤهلين بالعلم الشرعي الصحيح والقادرين على مخاطبة أهل البلاد بلسانهم.
3- إعداد مطبوعات ومنشورات... وتوزيعها على غير المسلمين والعمل على أن يكون المسلم محل انتباه هؤلاء بسلوكه الإسلامي وأخلاقه القويمة .
4 - تنظيم المحاضرات والندوات خاصة فـي الوسط الطلابي وإثارة المواضيع حتى يصبح حديث العام والخاص ومحل الاهتمام .

خلاصة عامة :

إن ما نخلص إليه عقب هذا العرض هو أن الـطـلـبـة الـمسلمين المبتعثين إلى ويلز عليهم أن يقوموا بمسؤولياتهم وأن لا تكون دراستهم هي همهم فقط ، ولكن أن يضحوا ببعض أوقاتهم وأموالهم في سبيل إحياء هذا الدين في قلوب المسلمين أولاً وبـثـــه كنور يشع في قلوب أهل البلاد من غير المسلمين ، وأن يعتبروا أنفسهم امتداداً للإسلام فـي أوطـانهـم ، وهداة لكل تائه ونوراً لكل حائر .

المراجع :

1- British Review of Statistic , Soutwales , 1990 , British Statistic Board .

2- The New Islamic Presence in Britain , by T. Gerham & Y.G. Litham .
3- Muslims in Britain , by Dr. Darsh .
4- Wales Geography , by T. Care .

@إدارة

الحزم سمة القيادة الناجحة

سامي سلمان

قال الحكماء قديماً في الحزم :
* الحزم أنفس الحظوظ .
* رب رأي أنفع من مال ، وحزم أوفى من رجال .
* من لم يقدمه الحزم ، أخره العجز .
* الحزم يوجب السرور ، والتغرير يوجب الندامة .
وجماع كل هذا في معنى الحزم إذ أن لفظة الحـــزم تـدل على القوة والاجتماع ويدخل في معناها حسن التصرف واتخاذ المواقف الواضحة بقوة وإصـــرار . والحازم هو الذي جمع زمام نفسه بقوة مواقفه وزمام الآخرين لحزم قيادته .
يصف أحدهم شخصية القيادة الحازمة فيقول : إن القيادة الحازمة هي التي تحافظ على تفكير واضح ومنطقي رغم المتاعب وتبحث عن الحقيقة وتمسك بها بكل إصرار مهما كلف الأمر وتثبت في المأزق بكل صبر ولو انسحب الجميع من حولها وتحكم بدون تحيز لآرائها وتصرفاتها الشخصية وتعترف بأخطائها بكل صدق وأمانة .
وتظهر هنا العلاقة بين القيادة الناجحة واتسامها بالحزم بوضـــوح إذ أن من أهم معاني القيادة القدرة على امتلاك زمام الأمور وهذا لا يتأتى للقيادة إلا بعـد أمور كلها من معاني الحزم :
أولها : القدرة على تسيير الأمور وقت الرخاء والشدة ، فالرجـــل الضعيف المتخاذل لا يستطيع أن يقود أفراده ويوحد صفوفهم ويشد أواصرهم وقت الرخاء فكيف به وقت الشدة حيث تزداد الحاجة إلى الحزم والقوة .
ثانياً : الوقوف أمام الأهواء فالرئيس الحـــازم لا تتلاعب به الأهواء ولا تتقاذفه الآراء فبحزمه يستطيع أن يضع الأمور في نصابها الصحيح دون أن يدع فرصة للأمور أن تتسيب أو تسير لتخدم غير المصلحة المناطة في عنقه ، فهو وبحكمته وحزمه يسمع لذوي الحجة والمنطق الصحيح ويقف واضحاً حازماً أمام ذوي الأهواء مما يؤهله للسير بقافلته دون تعثر.
ثالثاً : الـوصـول إلى الهدف ولو كان صعباً سمة الحازم فمعنى الإصرار لا يفترق عن معنى الحزم ، إذ إن القائد الحازم الذي رسخ في نفوس مرؤوسيه ضرورة تحقيق الهدف ، يجد نفسه في مقدمة من يصر ويسعى جاداً ليكون

قدوة بحزمه وإصراره حتى يصل هو ومرؤوسوه إلى ما تطلعوا إليه وذلك خلاف القائد المتخاذل الذي ينقطع به الطريق في المنتصف .
رابعاً : القدرة عـلـى اتخــاذ القرار وتحديد الموقف الصحيح من أهم سمات القائد الحازم فهو لا يدع للشك والتردد سـبـيــلاً إلى نفسه فإن حزمه يرفض ذلك وبشدة ، إن من المهم دائماً أن لا يترك مرؤوسيه دون أن يعرفــوا قراره أو موقفه في أمر ما لم يشر لهم شخصية تقودهم إلى سبل مختلفة ليست كالتي ينبغي أن يرسمها لهم قائدهم الحازم .
خامساً : تحمل المسئولية وأعبائها يرتبط ارتـبـاطـــاً وثيقاً بسمة القيادة الحازمة ، إذ أن الحزم أول الطريق لا يعني شيئاً ولا يحقق أي منفعة إذا لم يترتب عليه الوصول إلى نهاية الطريق بكل تبعاتها وعندها يدرك المرؤوسون أن حــزم قيادتهم ليس مجرد أزمة عابرة بل هي سمة متلازمة مع كونهم قادة بيدهم زمام الأمور .
ويحضرني موقفان عظيمان يبرزان صفة الحزم في القيادة الناجحة :

الأول :

موقف موسى -عليه السلام- لما رجع من الطور بعــد أن ناجى ربه وعاد بالألواح وقد علم من الله بخبر عبادة قومه للعجل وعاين الأمر أقبل على قومه فعنفهم ووبخهم وعاتب أخاه هارون ((يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَّ تَتَّبِعَنِ)) ، ثــم أقبل على السامري ((قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ)) ، توعده وأنذره ((قَالَ فَــاذْهَــبْ فَـــإنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ)) . وهذا دعاء عليه بألا يمس أحداً ثم توعده في الأخرى فقال: ((وإنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ)) ، وبعد ذلك عمد إلى العجل فحرقه وذراه في البحر ((وانظُرْ إلَى إلَهِكَ الَذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفاً)) . والقرآن يصـف الـمـوقـــف بصورة حزم واضحة إذ يشعر القارئ للقصة في كتاب الله سرعة اتخاذ الموقف والقضاء عـلـى الفـتـنـــة برمتها وبحزم سريع يكاد يكون خاطفاً فلم يتردد أو يتكاسل بل إن الوضوح والإصرار كان ملازماً لتصرفاته في القضاء على الأمر وهذا هو معنى الحزم الذي نتحدث عنه .

الثاني :

موقف الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- في ردة الأعراب بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ارتدت أحياء كثيرة وادعى طليحة الأسدي ومسيلمة الكذاب النبوة والتف حولهم قومهم وأنفذ الصديق جيش أسامة فقل الجند في المدينة، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها ، فجعل الصديق على أنـقـاب الـمدينة حراساً يبيتون بالجيش حولها ويصف ابن كثير هذا الموقف فيقول : »عظم الخطب واشـتـدت الحال وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يترك المرتدين وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ، ثم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق

من ذلك وأباه وقام في الناس وقال كلمته المشهورة : »والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأقاتلهم على منعها والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة« ، وكـــان في اشتداد المحنة أن طمع الأعراب في المدينة وأغار بعضهم فما كان من الصديق إلا أن بــات قـائماً ليلة يعبئ الناس فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صيد واحد ومكن الله للمسلمين واستمر على ذلك حتى قال المسلمون : لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً ، فقال : والله لا أفعل ولا أواسـيـنـكــم بنفسي وهكذا بقي الصديق هو وصحابة رسول الله يقاتلون حتى خضعت الجزيرة إلى حكم الله من جديد .
فالإصرار ظاهر في الموقف وهو من معاني الحزم وكلاهما من سمات القيادة الناجحة ، رحم الله الصديق فبحـزمه شرح الله صدر عمر بن الخطاب إذ يقول : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . وهذان الموقفان كـــان لهـمـا الأثر العظيم في بقاء هذه الأمة ، ولكل موقف حازم أثره ولهذا كانت للقيادة شأنها في حياة الجماعات والأمم .

@مكتبة البيان

إعداد: سليمان الميداني

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**

للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي .
قام بتحقيقه الدكتور بشار عواد معروف .
الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت .
لقد احتل هذا المصنف مكانة علمية عظيمة بين علماء القرن الثامن الهجري ، وذلك لسعة اطلاع مؤلفه، ودقته في التصنيف، وهو صاحب كتاب "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، وتهذيب الكمال: مصنف في تراجم رجال الكتب الستة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي ، سنن أبي داود ، سنن النسائي ، سنن ابن ماجه .
استند الإمام المزي فيه على كتاب "الكمال" للإمام عبد الغني المقدسي، وليس هو مختصراً له كما يظن البعض ، فقد اختلف عنه في المحتوى ، والتنظيم والحجم وغير ذلك .
اكتمل هذا العقد الثمين بعد صبر طويل، فـجـاء ذخـــــراً للمكـتـبـة الإسلامية، وللتراث الإسلامي ، وأصبح بين أهل العلم وجهابذة هذا الفن من أجل الكتب التي ألفت في بابه ، وقد اكتمل في خمسة وثلاثين مجلداً .

- **مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير للطبراني .**

تصنيف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تـ 807 هـ .
الناشر: مكتبة الرشد الرياض .
استخلص الإمام الهيثمي من المعجمين الصغير والأوسط الأحاديث الــزائــدة على الكتب الستة .
وهو كتاب ذو قيمة علمية قام محققه الشيخ عبد القدوس بن محمد نذير بخدمـتـه خدمة علمية ، حيث أخرج لنا نصاً مقابلاً على الأصول الخطية ، مترجماً لأكثر أعلامه مخرجاً لأحاديثه ومعلقاً على بعض مواطنه .

0• حديث الأحرف السبعة : دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه ، وصلته بالقراءات القرآنية .

المؤلف : الدكتور عبد العزيز القارئ الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية .
نشر : دار النشر الدولي - الرياض .
وهو بحث علمي متخصص شديد الصلة بكتاب الله ، جاء في (181) صفحة من الـقـطــع المتوسط .

0• النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى .

المؤلف : الأستاذ المكي أقلاينة .
الناشر : سلسلة كتاب الأمة ، العدد 34 ، قطر .
يتكلم المؤلف عن مراحل التعليم ومجالس التحديث والرحلة في طلب العلم وخصائص التعليم عند المحدثين .

0• كيف تسعد الأسرة .

المؤلف : الأستاذ عبد الرحمن قره حمود .
الناشر: مكتبة دار البيان في الكويت ، حولى .
وهو كتاب يتناول مشاكل الأسرة اليومية وطرق معالجتها على شكل حوار حيٍّ ، يتضمن كثيراً من الآداب والأخلاق الإسلامية .

@واحة البيان

المرأة الكريمة

في اللغة: عقيلة هي المرأة الكريمة ، والعقيلة درّة الصدف .
والخريدة : كثيرة الحياء الخَفِرة .
وتسمى المرأة بيتاً والعرب تكني عن المرأة باللؤلؤة والبيضة، والنخلة والقوارير والريحانة.

الفقر الحاضر والعجز الظاهر

وفَدَ (الصقب النهدي) سيد بني نهد عـلـى الـنـعـمـان بـن المنذر ، فسأله النعمان عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر : قال : الفقر الحاضر : المرء لا تسـتـغـنـي نفـسـه وإن كـان ذهباً جليسه ، فأما العجز الظاهر : فالشاب

الضعيف ، اللزوم للحليلة ، المتبوع لها ، الـــذي يحوم حولها ، إن غضبت أرضاها وإن رضيت فداها ، فذاك الذي كان ، ولا ولدت النساء مثله .

تعريف

طلحة الطلحات هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المشهور بالكرم والجود ، ذهبت عينه في فتح سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان في خلافة معاوية .

أقوال

- الأولاد لا يفهمون عذاب الآباء ما داموا هم أنفسهم لم يأتوا بأولاد .
- إن الإنسان في حاجة إلى عامين ليتعلم الكلام ، وإلى ستين عاماً ليتعلم الصمت .
- إذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي ، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك .
- يقـــول أهل السياسة أحياناً في الاعتذار إلى الضعفاء المساكين : أيها العقلاء ! إن هذا لا يمكن أن يحدث ، والمعنى السياسي : أيها البُلْه إنه لا يمكن أن يحدث إلا هذا..

@منتدى القراء

النظام الدولي الجديد !

علي محمد العيسى

وُلـد الجنـيـن فخِـلـته مـسـلولاً ... فـإذا به شـهـد الحياة قـتـيلاً
سُلـــب الإرادة فهو دمية عابثٍ ... أضفت إلى سُرُر البلاء عـلـيـلا
يا مـــن يُـقـلّــب دون أي إرادة! ... أفَلَسْت ميت أهله المقــتولا ؟!
يـا من يـحـارب فكـره بفـعالــه ... ما كنت في سوء الفصال بخيلا
يـا مـن يـهدِّم بـيـتـه بـيـمـيـنه ... من يوم مولده ، كفاك عـويـلا
من ليس يشغله البنـاء حقيـقـةً ... فلسوف يعلي الصوت والتطبيلا
تـبـدو مـظـالم جهـلـه وظلامــه ... عـدلا ! يـجـيـد لـزيفه تعليلا
حتى متى نحيـا بوعد براطـــم ... تخفي السموم ، وتتقن التقبيلا
فلنبن صرح الجد بالجهد الذي ... يرضـي الإلـه ونقـتـفـيـه دليلا
يـا ألـف مليون تعـد جموعهـم ... صـفـراً تـلاشـى تائـهـاً مشلولاً
يـرمـون بعـضهم ببعـض عنـوةً ... وعـدوهـم يجـنـي الثمار حَفيلا
صُلبت سراييفو، وأنّـت قدسها ... واسـتـشهد النُّبل الأبي خجولا
هم ألف مليون تناثر جمـعـهـم ... فكأنهم ؟.. هل قد رأيت فلولا؟
ويضيعون الوقت علّ عدوهـــم ... يبدي السماح! فهل رأيت مثيلا
هم أوجدوا للخصم كل وسيلـة ... حـتى يـبـرمـج خـطـه الـمـوصولا

فتظاهر الخصم اللئيم بعطفه وبأنه لا يرغب التقتيلا
ناموا..لعل البدر يصبح فضة! والشمس تضحى تبرة وخميلا
ما أمطرت أُدُم التمنى ثروة لم ترو شمس الظهر-قطُّ- غليلا
ما قلت ليس تشبعاً بخطابة ما يستحق القول جاء قليلا

@فإلى متى ؟

سليمان بن عبد الرحمن العبيد

فإلى متى والصحفُ تسخر بالكتابْ والدين يُطعن بالشتائم والسباب؟
فإلى متى والصحف تزخر بالفساد تدعو لتمزيق الفضيلة والحجاب؟
فإلى متى والصحف تهزأ بالدعاة وتسومهم بالهمز ألوان العذاب؟
"متطرفون" ولست أدري ما الذي يعني التطرف عند هاتيك الكلاب
أهو العقيدة والصلاة لِوقتِها أهو الأمانة والنصيحة باحتساب؟
أهو المروؤة والمحبة للورى وعزيمةٌ شماءُ عانقت السحاب؟
أهو التوسط عندما ندعو له؟ وعن التبتل قد نهينا والغياب
أهو التلذّذُ والتنعم بالحلال والنهيُ عن عَقْر المخدّر والشراب؟
أهو التوازنُ والبشاشة والسلام أهو الترفّقُ عند تحرير الخطاب؟
أهو البراءة والطلاقة عندما نأتي وتأتي غاضباً مثل الذباب
أهي القلوب البيض إذ نحيا بها وإذا المنافق قلبُه مثل الغراب
يا أمةٌ بَلِيَتْ بشر بَليِّةٍ أعداؤها أبناؤها فَهم الخراب
لِغبائهم كَفَوا العدوَّ جهادَها فتمزقتْ وأتوا سراعاً كالذئاب
وصروحُها هُدمت وفي أطرافها بنَتِ الأعادي المجدَ من ذاك التراب
فإلى متى؟ وإلى متى؟ وإلى متى؟ والشمسُ عنا قد توارتْ بالحجاب؟
يا أمتي والشمسُ طال غيابُها فمتى سيُشرق نورُها فوق الهضاب؟
ومتى ستُمطرنا السماء بصيِّبٍ؟ ومنى ستَنْجاب القتامةُ والضباب؟

@الدعاة والمطر

عبد الله الشرايدة

نظر هارون الرشيد -رحمه الله تعالى- يوماً ما إلى سحابة في السماء فقال : »أمطري حيث شئت يأتيني خراجك« ، وهي مقولة تدل على سعة رقعة الدولة الإسلامية آنذاك ، ولسعة رقعة العمل الإسلامي ، بل وعجزه عن استيعاب المدعويين ، فإن الدعاة إلى الله أولى الناس بامتثال هذه المقولة في مجال دعوتهم إلى الله .

فلو اعتبر كل داعية أنه وإخوانه من الدعاة والعلماء والجماعات في حب أهل السنة والجماعة ، عبارة عن سحب في سماء العالم الإسلامي ،

مملؤة بالعلم والنفع والخير الكثير للأمة الإسلامية "لأمطر" كـل واحـــد منهم علماً وخيراً ونفعاً كثيراً لمن حوله من البلاد والعباد ، ولأتى الأمة الإسلامية خراجـهــم جميعاً . ولكن يا للأسف ، فإن بعض الدعاة والجماعات يعانون ما يعانون من أمراض تجـعـلـهــم يخالفون الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على وجوب التعاون على البر والتقوى وعدم الـتـعـاون على الإثم والعدوان . فتجد بعض الدعاة عاطفي القرارات، إن أبغض، أفرط في البغض، وإن عادى ، أفرط في العداوة، وإن أحب، أفرط في الحب، وإن تحمس لوسيلة أفرط في الحماس لتلك الوسيلة ، بل وقلل من شأن الوسائل الأخرى المشروعة، وهذا شأنه في كل قراراته،ولا يعي أهمية التعاون رغم حتمية الخلاف ، ولا يقدم مصلحة الأمة على مصلحة نفسه أو حزبه ، وهذا الصنف من الدعاة إن لم يعق العمل الإسلامي لم يقدمه . فالأولى بالدعاة إلـى الله أن يعوا فقه الخلاف وأهمية التعاون ، بل وحاجة الأمة إليه في كل مكان وزمان ، خصوصاً في هذه الأيام ، وأن يعتبر نفسه وإخوانه سحباً تروي ، لا سحباً متفرقة لا خير فيها ولا بركة .
وأخيراً، هذه ليست دعوة إلى ترك التناصح فيما بين الدعاة، ولا إلى ترك النقد البناء، لأن الخلاف الذي أشرنا إليه بين الدعاة مما يسع الأمة، ومما يدور في إطار الخلاف المشروع، وإلا فإن التناصح بين الدعاة من أهم وسائل تنقيح مسار الدعوة إلى الله ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

@وعند الصباح يحمد القوم السرى

خالد محمد السبيعي

قال الفتى محدثاً صاحـبـه : ليتني مثل صلاح الدين الأيوبي ، شجاعة ، قوة ، وحنكة، وبصيرة، والأهم من هذا كله أنه حرر المسجد الأقصى ، وهذه وحدها تكفي ، ثم إن الناس في عصرنا هذا يتمنون لو تلد نساؤهم رجلاً مثله ، فقال له صاحبه : وهل تظن يا أخي أن صلاح الديـن قد حرر الأقصى في نزهة مترفة على فرس أصيل ، لا يا أخي لم يحدث هذا ، ولا يعقل أن يحدث شيء كهذا ، إن الأمور الجليلة لا تتم لمجرد أن تمنيناها ، إن وراء كل حدث عظيم أو شخص عظيم، بذل وتضحية وجهود كبيرة ، لا تنسى أن صلاح الدين قد أعد نفسه جيداً ، كما أن جنده قد أعدوا إعداداً مناسباً ، ولم يستسلم هذا القائد لأي عائق ، عرض له ، بل سعى لهدفه حتى النهاية .
إن أمنية الفتى طموحة وجميلة بـل ومـطـلـوبة إلى حد ما كسلاح فعال ضد اليأس والفشل والقلق ، وتتكرر مثل هذه الأمنية في كل مـكـان ، وتتبدل فقط الأسماء وأسباب الشهر .

اقرأ سير العلماء والمفكرين والقادة ، الذين تركـوا بصمات واضحة على أوراق التاريخ تجد أن معظمهم - إن لم يكن كلهم - قد عاش ردحاً ممـتـداً من عـمـره يعد نفسه لأن يكون ما صار عليه بعد .
إذاً فلا بد أيها المؤمن الطموح أن تكشف عن قدراتك مبكراً ، ثم تحـــدد أهدافك وتراعي ميولك ، استشر في ذلك فما خاب من استشار ، ثم انطلق في دربك بقوة ، وهدوء وصبر ، ولا تنتظر ثمرة سريعة ، بل اسع لها ، ومن الله التوفيق ، كما هي الحكمة القائلة "بطيء ولكن أكيد" .
إن الأمور العظيمة ، لا تحدث اعتباطاً ، بل تسبقها جهود عظيمة ، تصب - كلها - في مصلحة الهدف ، وبالتالي فإن طموح الفرد المسلم - أو الجماعة المسلمـــة - في شيء كبير ينبغي أن لا يتأخر كثيراً ، وكما قالت العرب "وعند الصباح يحمد القوم السرى" .

@بريد القراء

0•الأخ بدر بن عبد الله عبد المنعم

شكراً لكم على شعوركم النبيل ونسأل الله أن تـكــون البيان دائماً عند حسن ظنكم . بشأن اقتراحكم حول قضية الأخوة المبعدين من فلسطين فـهــو اقتراح جيد والمجلة تعمل حالياً على إعداد ملف عنهم . جزاكم الله خيراً .

0•الأخ التاج الزبير التاج عبد القادر

أكرمكم الله وأدام عليكم فضله وعلمه . شكراً لكم لمقالتكم الطيبة راجين قبول اعتذارنا عن عدم نشرها لأن الـعــدد (والأعــداد الـسـابقــة) تحدثت كثيراً عن الموضوع . راجين دوام الاتصال بنا .

0•الأخ فهد العدل

حيَّاك الله وشكراً لنصائحك التي وجهتها لإخوانك ، الموضوع يحتاج إلى تعديل وإعادة صياغة ، لذا نرجو مزيداً من المراسلة مع عمل أكثر جدية وعلمية . جزاكم الله خيراً .

0•الأخت أم عبادة قمام :

وصلت مشاركتك بعنوان "البحث عن السلام" . نشكرك على مشاعرك النبيلة وقد صدقتِ **فيما قلت** عن أن السلام مع اليهود وهم وتضليل لأنه صلح بين الجاني والضحية على أن تنسى الضحية جريمة الجاني وأن يبارك العالم جرائم المعتدي . نعم لن يعيد القدس إلا كتائب الإسلام بعون الله . الموضوع لم ينشر لتشابهه مع كثير من موضوعات العدد . الرجاء الاستمرار بالمراسلة .

0•الأخ محمود بن جمال البكر :

وصلنا عرضكم لكتاب **"السيرة النبوية"** للشيخ السباعي -رحمه الله-. العرض جيد ولكن نعتذر عن نشره لأنه كتب عنه من قبل . نرجو مزيداً من المساهمة وجزاكم الله خيراً .

•0 الأخ أبو موسى اكملي
يقـتـرح أن تُصدر البيان مجلدات متخصصة يعاد فيها نشر المواد ذات الطابع الواحد في مجـمـوعــة مجلدات كل حسب موضوعه . فهو يقترح "مجلد خاص يضم كل مقال أدبي وكل قصيـــدة شعرية" على أن يسمى "البيان الأدبي" ، ويصدر "مثلاً مجلد خاص يضم التراجم والأعلام الذين اصدرت المجلة عن حياتهم من العلماء السابقين أو تراجم نقدية للمعاصرين.." . كذلك يقترح الأخ "مجلداً خاصاً يضم المقالات عن الأمة الإسلامية وبيان أحوالهم والحوادث التي ألمت بهم" و "هكذا في كل جانب من جوانب الثقافة" .
البيان : نشكر الأخ على اقتراحه ، وهو موضع دراسة إن شاء الله .

•0 الأخت منيرة أحمد
أرسلت لنا بباقة من النفحات الطيبة التي تحمل في طياتها النصيحة لأبناء أمتها والغضب من الذين يركـضـــون وراء شعارات يرفعونها عندما يحتاجها الموقف وينسونها عند تنفيذ تعهداتهم.! إن الحـكــم على الآخرين من قادة ورعية يكون بفتح "سجلاتهم" وليس فقط بالاستماع إلى خطب رنانة وكلمات منتقاة تتناسب وواقعة معينة .

•0 الأخ محمد الوريك
أرسل لنا بمجموعة مــن الاقتراحات يرى أنه يجب أن تكون الأساس والهدف من إصدار أي عمل إسلامي. من اقتراحات الأخ ، والتي نوافق عليها دون أي تحفظ ، أن تكون من الأهداف :
- معرفة وجهات نـظـــر الـعـلـماء والمخلصين من أبناء الأمة بالقضايا المستجدة خاصة وأن المنابر مفتوحة أمام كـثـيـر من الكتاب الذين يسمون أنفسهم "غيورين على الأمة" وهم "في كل واد يهيمون" .
- رفع شأن الدعاة وتحسين صورتهم لتقديمهم للجيل على أنهم القدوة وأن الكلمة تسمع منهم لا من غيرهم .
- يقترح الأخ محمد جمع الدعاة في العالم - وإن كانوا متفرقين - على شكل ندوة على صفحة مجلة البيان .
- تقريب وجهات النظر بين الدعاة في العالم وكسر حاجز العصبية للحزب والجماعة والعمل أن يكون الولاء لله ورسوله .

•0 الأخ محمد عبد العزيز السيف
يقترح في رسالة بعنوان الأدب الإسلامي إعادة النظر في المواد التي تحشى بها عقول شباب الأمة وطلاب العلم فيها ويقترح التالي "لدفع عجلة الأدب الإسلامي إلى الأمام" :
1- إيجاد البدائل الجيدة التي تملأ الفراغ الناتج عن إزاحة الآداب الفاسدة والانحراف الفني .
2- إنشاء أقسام في جامعاتنا تدرس الفن الإسلامي الراقي بأسلوب مناسب .

3- تشجيع ودعم حركة النقد الأدبي من ناقدين موثوقين..
البيان : جزاكم الله خيراً ، راجين أن يؤخذ بمقترحاتك وهي جيدة .
- وفي رده المطول على نشر ترجمة المقالة مع علي عزت بيكوفيتش في العدد 56 يستنكر **الأخ صالح بن عبد الله** أسلوب طرح الأسئلة على الرئيس البوسني ويعتبر أن "نشر بعض الأسئلة والأجوبة تراجع في سياسة المجلة (البيان) .
البيان : لا يخفاكم أخي الكريم أننا نشرنا ترجمة للقاء مع الرئيس البوسني ولم نتبنى أياً من أسئلة الصحفي وقد آثرنا نـشـرنـــا للترجمة الحرفية لإطلاع القارئ الكريم حتى على أسلوب تعامل الإعلام الغربي مع قادة المسلمين وهذا أمر خارج عن إرادتنا .
أما عن رفضك لبعض إجابات الرئيس الـبـوسـني لأنه لم يحمل على الغرب أكثر مما فعل فهذا شأن الرئيس ومن غير أي شك لديه مـــا يـبـرر أقـــواله لأنه في موقع لا يمكّنه من التصريح في مواقع آثر فيها التلميح لأن اللبيب لا يلزمه إلا الإشارة .
على كل تقبلنا نقدكم الصادر عن غيرتكم الصادقة ، جزاكم الله خيراً ونسأل الله أن تكون **البيان** عند حسن ظنكم .
0• الأخ مختار - ع .
في رسالته عن الموضوعية واستحالة تطبيقها في الحياة العلمية يخلص إلى أن "الإنسان ليس آلة متخصصة في ميدان معين يضبط وفق معادلات معينة ولا هـــو أجزاء بإمكاننا فصلها ، فهو وحدة عضوية معقدة لا تعمل إلا وفق ميكانزمات متداخلة لا تـنـفـصـــل إحداها عن الأخـــرى ، فالروح والعقل والجسم والقلب كلها مجتمعة تكوِّن الإنسان في تـصـرفـاتـــه وسلوكياته . والبيئة والموروث الحضاري والصفات الوراثية والتفاعلات الاجتماعية كلها مجتمعة هي التي تـكـــون الشخصية . فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتخلى الشخص عن هذه المكونات ويتنحى جانباً ليصدر الأحكام »الموضوعية« .

***

يصلنا من الأخوة القراء كلمات قصيرة يعبرون
فيها عما تجـيش به أنفسهم من حرقة على واقع المسلمين، ويودون
إيصال كلماتهم النافعة إلـى القـــراء ، ونحن لا نشك في حب هؤلاء
الأخوة للخير ، ونحـــاول نشـــر الـمـنـاسب مـنها، وضمن المساحة
المحدودة لأقلام القراء في المجلة، ونعتذر عن نـشـــر كل ما يصلنا,
ولا يعني هذا انقطاع الأخوة عن الكتابة ، إذا وجدوا موضوعاً مناسباً
يستحق الكتابة عنه . وفق الله الجميع للإخلاص والصواب .

@قديم وجديد

عصبة الأمم بين المـــد والجـــزر (*)

بقلم باحث دبلوماسي كبير

كانت عصبة الأمم في نظرنا دائماً أداة دولـيـة مـريبة ، لا تتفق أعمالها وجهودها مع المثل والغايات السامية التي أدمجت في دستورها ، ولـم نـسـتـطـع يوماً مدى الخمسة عشر عاماً التي قطعتها العصبة من حياتها أن نحمل على الثقة بها أو الاطمئنان لاستقلالها أو نزاهة وسائلها وغاياتها ؛ وإنما رأينا العصبة دائماً أداة مسيرة في يـد الـــدول الـغـربـيـة القـوية توجهها حيثما شاءت لتحقيق مشروعاتها وغاياتها على حساب الأمم الضعيفة ، ورأيناهـا بالأخـص سوط استعمار بالنسبة لبعض الأمم الشرقية ، تفرض عليها نير الانتداب وتنظمه لـمـصـلـحة الدول الكبرى التي توجهها ؛ ولم تقدم العصبة يوماً أي دليل على أنها تعمل لإنصاف دولـــة ضعيفة أو أمة شرقية ، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بمصلحة دولة قوية أو أمة غربية ، ولم تـنــل الـعـصـبـة توفيقاً في أي ميدان من الميادين العامة أو الإنسانية التي تزعم أنها تعمل في سبيلها ، فلـم يحقق مشروع نزع السلاح أو تحديده ، ولم يوضع نظام ثابت للسلامة العامة أو عدم الاعتداء ، ولم تكفل حقوق الأقليات أو الأمم الضعيفة بصورة مستقرة عادلة .

ولكنا رأينا عصبة الأمم تتخذ فجأة لمناسبة النزاع الإيطالي الحبشي صورة أخرى ، فتبعث دستورها من قبره وتطبقه بروح جديدة ؛ رأيناها تحل السيادة والحقوق القومية مكانتها ، وتعمل لاحترام استقلال الأمم الضعـيـفـة ، فتصم إيطاليا بما تستحق من وصمات الاعتداء المنكر، وتحرك من نصوص دستورها ما تراه كفيلاً بوقف الاعتداء ورد المعتدي إلى صوابه ؛ وتـسـتـجـمـع شجاعتها لتطبيق العقـــوبات الاقتصادية والمالية التي فرضت على المعتدي، وتطـبـقـهـا بالفعل على إيطاليا المعتدية ، فتحظر تصدير السلاح وجميع المواد الأولية إلى إيطاليا وتبيحه للحبشة، وتطلب إلى أعضائها أن يقطعوا كل العلائق الاقتصادية والمبادلات التجارية مع إيطاليا ؛ فيلبي دعوتها نحو خمسين دولة أو ما يشبه الإجماع ؛ وهكذا رأينا عـصـبة الأمم تفتتح عـهـــداً جديداً في سياستها وفي فهم مهمتها الدولية ، واستبشرنا بأن يكون العـهـد الجديد مفـتتح الآمال بالنسبة للأمم الضعيفة ، فتستطيع أن تطالب بحقوقها وحرياتها ، وتستطيع أن تعتمد على ذلك التعضيد الدولي الذي تحمل لواءه عصبة الأمم .

ولم يغب عـــن العالم مع ذلك ما هنالك من وراء ستار ، فقد فطن العالم أن عصبة الأمم لم تكن في عملـهـــا مستقلة ولا مختارة ، وأنها كانت مسيرة موجهة فيما اتخذت من قرارات جريئة ؛ ولم يغـــب عن العالم أن السياسة

البريطانية هي مبعث التوجيه والوحي الأول، وأنها اتخذت هذه الخطة لأن الاعتداء الإيطالي على الحبشة ، وتوسيع النفوذ الإيطالي في شرقي أفريقية، وما يترتب على ذلك من إذكاء الروح الحربي الفاشستي، يعرض الإمبراطورية البريطانية وسلامة مواصلاتها في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وسيادتها في وادي النيل وشرق إفريقية إلى أخطار جسيمة ، وأن انكلترا لم تحرك أساطيلها الضخمة ، وتتخذ هذه الأهبات الحربية الواسعة النطاق في مصر وعدن وشرق إفريقية انتصاراً لقضية الحبشة أو دفاعاً عنها ، ولكن رداً للخطر الفاشستي الذي ظهر في الأفق فجأة ، وأخذ يزعجها بمطامعه وتحديه .

الهوامش:

(*)- نقلاً عن الرسالة، العدد 131،11 شوال 1354 هـ / 6 يناير 1936، السنة الرابعة .

@الصفحة الأخيرة

الفن وأصحاب الفضيلة

جمال سلطان

قديماً قالوا: إن من الجهل جهلاً مركباً ، وهو أن يجهل الإنسان ثم هو يجهل أنه يجهل. ذكرني بهذه الكلمة تلك الفتاوى التي ظهرت مؤخراً حول الفن والفنانين ، وهي فتاوى رسمية أحياناً ، وشبه رسمية أحياناً أخرى ، من هؤلاء النفر المنتسبين إلى العلم والدعوة ممن يحرصون على الظهور بمظهر المستنيرين والمتحضرين والمتسامحين !!

وهذه الفتاوى استدرجهم إليها بعض الخبثاء ، ومجلات الغواية والفتنة ، لكي يشوهوا بها الدلالة الرائعة لتوبة بعض الفنانين والفنانات ولزومهم هدي الله وهدي نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، حيث أتت بيانات وتصريحات هؤلاء الفنانين واضحة حاسمة ، بأن ما يحدث مما يسمى الفن إنما هو تضليل وغواية وإفساد لمجتمعات المسلمين، وشبابهم وشاباتهم على وجه الخصوص ، والشهادة دامغة لأنها من داخل البيت المتهم ذاته، ومن أكثر الناس دراية وإحاطة بأسراره ، ومعلناته سواء ، فإذا بالفتاوى تصدر بأن الفن حلال زلال ، وأفي الفن رسالة لإصلاح المجتمع، وأن الإسلام يقف مع الفن ويرحب بأهل الفن.. إلى آخر هذا الخلل والوهم العجيب، فهؤلاء الشيوخ إما أنهم يتحدثون عن الفن من كوكب آخر غير الأرض لم يكتشفه الإنسان بعد، وإما أنهم من الجهل بالواقع إلى حد البله، وهذا ما نشك فيه ، وإما أنهم يلمعون وجوههم على حساب الدين والحق والأمة معاً .

يــا أصحـــاب الفضيلة، إن شرط الفضيلة أن يكون وجه الحق، وسلامة الدين، وطـهـارة المجتمع، فوق الاعتبارات الشخصية الضيقة، أو المصالح الآنية، فــإذا مــا غــاب الشرط غابت الفضيلة والكرامة !

تمت بعون الله والحمد لله
